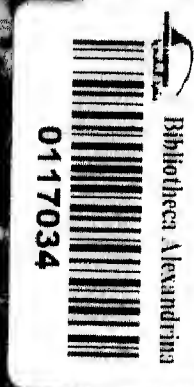
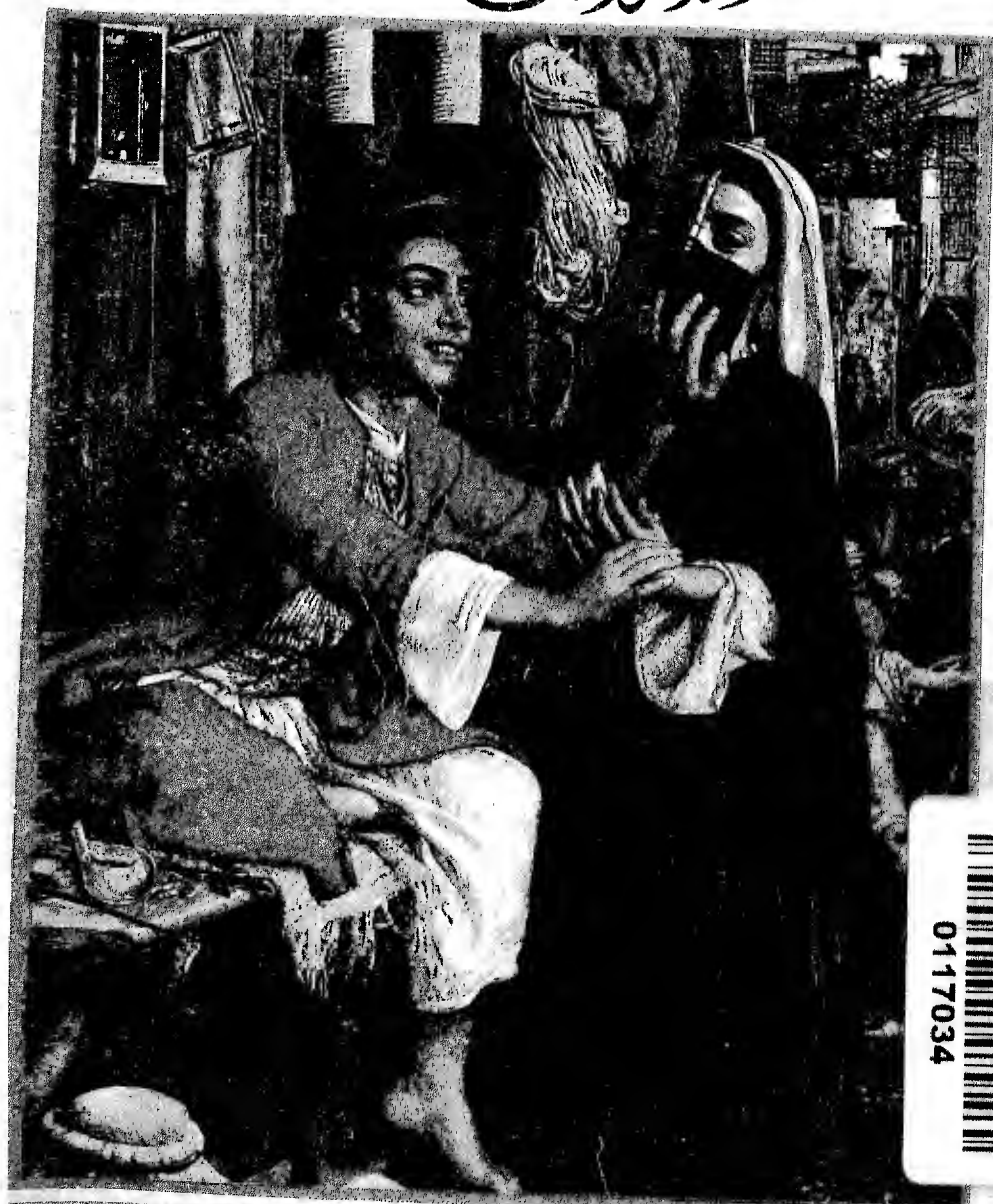
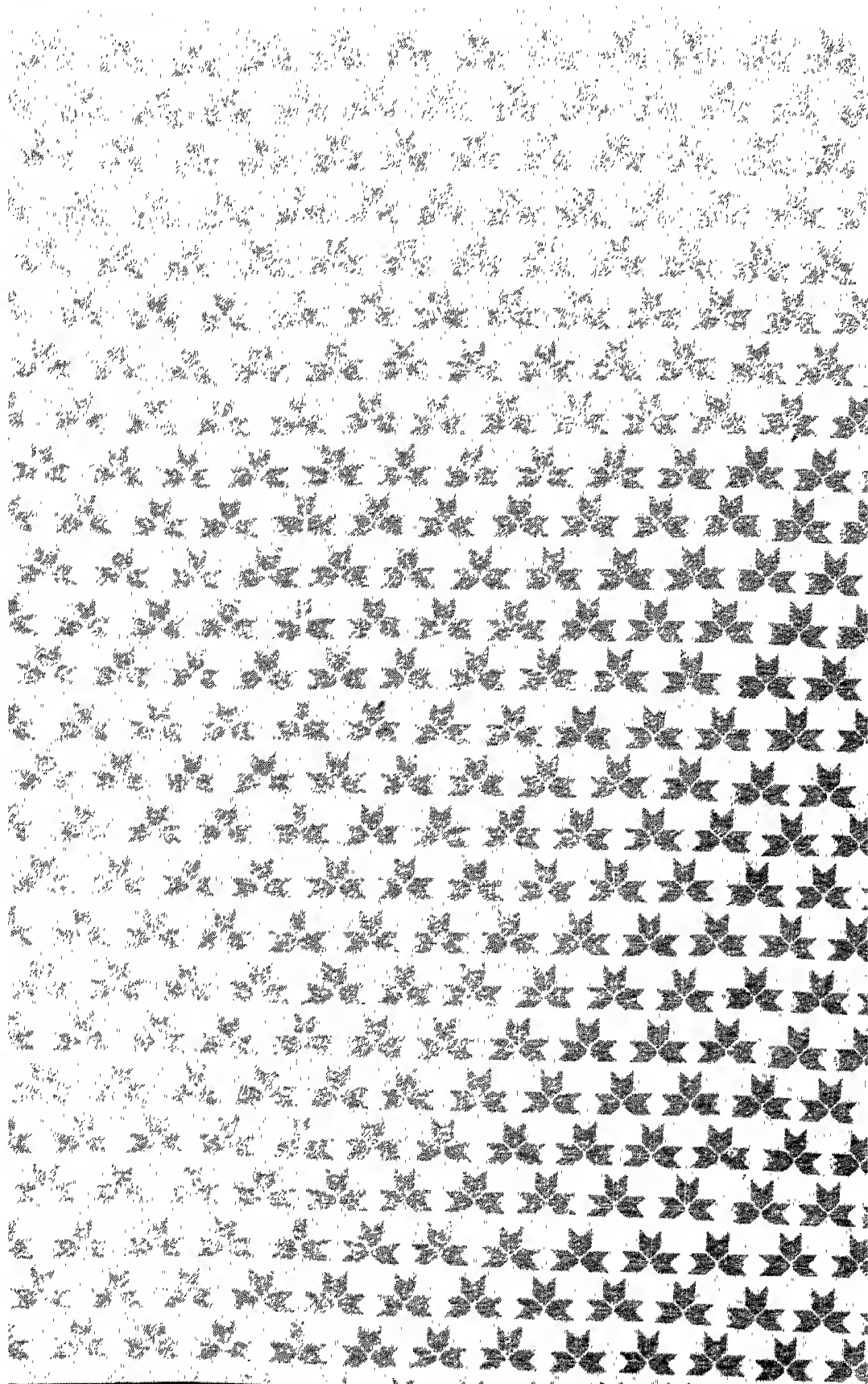


الحب عند العرب

للعلامة المحقق المفقورة
أحمد يمين





الحُبُّ عَيْنُ الْعَرَبِ

لِلْعَلَّامَةِ الْمُحَقِّقِ الْمَغْفُورِ لَهٗ
أَحْمَدَ تَيْمُورِيَّاتٍ

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق
والجمال والغزل ووصف النساء ومقاطيع رائعة ونوادر فائقة للشعراء
العشاق من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع



دار المعارف للطباعة والنشر
سوسة - تونس

العدد المسند من طرف الناشر 93/247
تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 ISBN

تمهيد لمقدمة الكتاب (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى حكم بمدله فقهه ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين مَنْ شاء مِنْ أحبائه وجعلهم أحبباً ، وجعل لهجائس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر والأخبار ، ويفتخمون فى تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتناشد الأشعار . أحمده على كلِّ نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلِّ ذنب يوجب النعمة ، وأتمهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تَجِيرُنِي مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ ، وأتمهد أنِّ محمدًا عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع راقية ، وقصائد فائقة ، من كلِّ لفظ بديع ومعان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخططات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة هذا الكتاب ، ولم نجد أثراً لبقية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يعجل الأجل بتحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أخى قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .
اللهم اجعاني أحبّك بقاى كلّ ، وأرضيك بجهدى كلّ .
اللهم اجعل حبّي كلّ لك ، وسمي كلّ في مرضاتك .

هذا الكتاب

بقلم الأستاذ عبد السلام شهاب

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالترام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المغفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهمّ كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سميد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخاطبيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمكسّر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعرضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للملازمة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بد واجد أنها كلها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحب ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثم هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلاحظ أن « الحب والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوق دقيق واع لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمال وتلال وجبال مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيوم ونجوم ، تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصديق وإخلاص ، فهذان يرهانان آخرا على أنهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحب وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تنبّى بجمال الحب وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد السكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أفاطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التَّدَلُّرِ وإن كنت قد أزممت صرعى فأجملِي
أغرركِ مِنِّي أنْ حَبَّكَ قَاتِلِي وأنتِ مَهَمَّا تأمرى القَلْبَ يَفْعَلُ ؟

ويفتتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :
 آمَنَّا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءَ رَبِّ نَاوِيَعْلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ
 أمّا طرفة بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة »
 محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبها التي يعصى عليها
 هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرَقَّةَ شَهْمَدٍ تُلُوحُ كَبَائِقِ الوُثْمِ فِي ظَاهِرِ أَيْدٍ
 ويقول عنبرة بن شداد العبسي في معلقته ، موجّهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :
 وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَّاحُ نَوَاهِلُ مَنِي وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
 فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنِّي لَمَعْتُ كَبَارِقِ لُغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ
 ويفتح النابغة الذبياني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من
 أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْمَكِيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
 أَضَحَّتْ خَلَاءَ وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ
 ويقول ذو الأصبع العدواني ، يشكو فراق محبوبته « رياء » :
 يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلٍ الْبُثِّ مَحْزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا . . أُمُّ هَارُونِ
 فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَاصِينِي
 تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَسْكُونِ

ويقول السموءل بن عاديء من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن
 يلتهى عن حب صاحبه مهما يطول عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَعْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذَلَوُ عَصِيَّتِ
 دَعِينِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوَى وَلَا تَعْوَى - زَعَمْتِ - كَمَا غَوَيْتِ

أَعَاذِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أنّي مُنتهِ . . . لقد انتهيتُ
وحتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَذَلٍ عَاذِلِهِ ، بكيتُ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقّ وأعذبُ وأنفذُ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي النخل يشكرى في بساطة محبّةٍ ، فقال :

وأحبّها ، وتحبّني ويحبّ ناقثها بعيرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليّتهم فلا شكّ في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقق من طباعهم وسما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البغاء .
وأوجب معاشرة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدّنيا
المرأة الصالحة » . وقال : « حُبِّبَ إلَيَّ من دنياكم ثلاث : النساء والطيبُ وقُرّةُ عيني
في الصّلاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فنهجوا نهجه ، واتّبعموا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب رضی الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدّها عن نفسها ، فرمته بحجر ففضّنت
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضی الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالى العربى زياد بن أبى سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يأتى من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما أتى من الخوارج والثنور ؟ قالوا : فمن أنعمُ النّاس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبي - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتَيِّمٌ إِفْرَهَا لَمْ يَفِدْ مَكْبُولُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيفُ الطَّرْفِ مَسْكُولُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً للحج البيت الحرام ، عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواضع الحب ، ويحيز عليها ويرونها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلْنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعَنَّ وَهْنِي فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب فمفَّ فمات ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بثينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاقِى لَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخيره لا نلتقى وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :

أَقْلَبُ طَرَفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ يَنْظُرُ

ومنها جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ، فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجهما ، ومنعه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلا :

« يَا أَبَتِ : هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا قَدَرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلِيَ نَفْسَهُ . وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَحْمُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لِحْنِي قَدْ أَتَيْتُ لِي عَلَى أَنِّي أَمْتَنَعُ عَنْ طُرُوقِ هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلَامِ بِهِ وَلَوْ مِتُّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةٍ لِفِرَاقِهَا .

ومنها قيسُ لُبَنَى . وكان قد تزوّجها . وسعدا ببتبادل الحبّ حيناً ، ثم طلقها نزولاً على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه يلشد السلوان . لكنه لم يستطع صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنها توبة بن الحمير وصاحبته ليلي الأخيلية ، وفيها يقول :

وَلَوْ أَنَّ لِيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى دُونِي تُرْبَةً وَصَفَاحُ

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَيٌّ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنها كثير وصاحبته عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا ، وقيس بن الملوّح مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبته لُبَنَى ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والنساء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتتمت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتمز إضافتها إلى الأصول ، فتولّت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أرادته .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أوّلها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمّها عن ماهية الحبّ ومعنى الحبّ والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبّين والحبيب الأوّل والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدّين والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأيامي واليتامى ، وأمثال في الحبّ ، وحبّجة بالغة .

والباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم . والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » . والسابع عن « العيون وما قيل فيها » نثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهن تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء .
أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
ومن الحبّ إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإنّا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها - وقد اجتمعت مفصلة وموضحة
في هذا الكتاب الجديد - جديرة بأن تجعله - كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله - ذا نفع كبير للأدباء والمتأدّين ولقراء العربية أجمعين ،
والله وليّ التوفيق .

عبد السلام شهاب

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الورّاق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرّياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حمّاد الرّاوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذّكر ، وأغصانها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنيّة .

وقال مُعَاذُ بْنُ سَهْلٍ : الحبُّ أصعب ما رُكِبَ ، وأسكّر ما شُرِبَ . وأقطع ما لُقِيَ ، وأحلى ما اشْتَهِيَ ، وأوجع ما بَطَنَ ، وأشهى ما عَلَنَ . وهو كما قال الشاعر :

وللحبِّ آفاتٌ إذا هي صرّحتْ تبدّتْ علاماتٌ لها غررتْ صُفُوفُ
فباطنُهُ سُقْمٌ وظاهرُهُ جَوَى وأوّلُهُ ذِكْرٌ وآخرُهُ فِكْرٌ

وقال بشار العبلي :

هل تعلمين وراء الحبّ منزلةً تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الحبَّ أَقْصَانِي

وقال غيره :

أحبّك حبّاً لو تُحبّين مثلهُ أصابك مِنْ وَجْدٍ عَلَى جُنُونُ
لطيناً من الأحشاء ، أمّا نهارُهُ فدَمَعٌ ، وأمّا ليلُهُ فَاِنِينُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف : الحبُّ أوّلُهُ هزلٌ وآخرُهُ جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالتهَا - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمأناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قنيل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .

وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .

وللحب علامات منها : إدمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات
إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعمف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل ، ورجل قابله معلق بالمسجد إذا خرج منه لا يلت حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الحب والمحبوب (١)

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ،
ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : فحب
علاقة ، وحب لخلاق ، وحب هو القتل .

وكلا كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر
لاختلاف أنواع الحب ماكدنا نعرف ما فيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

(١) بدائع الفوائد ص ٨٥ .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أَبامروان من أجل تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ بالراء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمَرُهُ ما حَبَبْتُهُ وَكان عِياضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبَّبٌ ولم يقولوا : حابٌّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبَّبٌ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرةً متى بمنزلة الحَبَّبِ المسكرم

فهذا من : أحببت - كما أن المحبوب من : حبيت ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .
فمن محبته بمعنى المفعول قول ابن الدُمَيْنَةِ :

وإن السكيبَ الفردَ من جانبِ الحمى إلى وإف لم أنه لَحَبِيبُ

أى : لمحبوب . ومن محبته للفاعل - قول الجنون :

أتهجرُ كليلَ بالفراق حبيبها وما كلُّ نفس بالفراق تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حِبٌّ : مثل خدن ، نِفْدَنٌ وخدينٌ مثل :
حَبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب وألسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أثقلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذله في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزلو الجبال الراسيات وقلبه على المهدي لا يلوى ولا يتغير

وفى شرح لامية المعجم . . للصفدي :
فالحبُّ حيث العدا والأسدُ رابضةٌ حول الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ -
الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :
« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكى عن بعض العرب
أنهم يقولون : فلانة حبيتي .

عشق الشرف وعشق الجمال

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا أحسن شرفها ، فأتى
لأعشق الشرف كما أعشقُ الجمال » .
وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :
« ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .
وقال كثيرُ الشاعر :

وَأنتِ التي حَبَّبَتْ كُلَّ قَاصِرَةٍ إلىَّ وما تدرى بِذاك القَاصِرَ
ولم يرد : القاصرة القد ، وإنما أراد المقصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .
والمقصورة هي : المحبوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :
محبوسات . وقوله تعالى : « فيهنَّ قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهنَّ على أزواجهنَّ
فلا يبيننَّ بهنَّ بدلاً .

ويدلُّ على مراد كثيرٍ في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :
عنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أَرِدْ قَصارَ الخطى ، مرَّ النساءُ البَحَّارُ
والبَحَّارُ : القصار .

أحلام المحبين

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدته، وينحرف فيه منحى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال المُذريّ... وقد عشقَ الأدبَ الرفيع، كما عُمِرَ فوقَ السَّمانينَ عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

صَنَّ عَنِّي بِالنَّزْرِ إِذَا أَنَا يَقْظَا نُ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي الْمَنَامِ
وَالْتَقَيْنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عَيْنَ بَ سِوَى أَنْ ذَاكَ فِي الْأَحْلَامِ
وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَأَقَةُ لَيْلًا فَالليالي خَيْرٌ مِنْ الْأَيَّامِ

وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبّه وعشقه للحُسن والجمال :

بَنَيْنَا خَجِيمَيْنِ فِي ثَوْبَيْ هَوًى وَتَهَى يَلْفُنَا الشَّوْقُ مِنْ فَرْقٍ إِلَى قَدَمِ
وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِي مَوَاقِعَ اللَّثَمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر

قال حبيب البائي .

نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَهُ الْفَتَى وَحِينَهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فمن ذلك قول بعضهم :

أَفْخَرُ بِأَخْرٍ مِنْ كَلَفَتْ بِحَبِّهِ لَا خَيْرَ فِي حَبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَنْشُكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّماً سَادَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ !

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أن الهوى لا شك فيه للحبيب الأول
ما لم أحن إلى خراب مقفر درست معالمه كأن لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلغه قول ديك الجن » :

كذب الذين تخرّصوا في قولهم ما الحب إلا للحبيب الأول
أو طيب في الطعم ما قد ذقته من ما كل أو طعم ما لم يؤكل
قال العلوي الأصبهاني^(١) :

دع حب أول من كلفت بحبه ما الحب إلا للحبيب الآخر
ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر ؟
إن المشيب وقد وفي بمقامه أوفى لدى من الشباب الغادر
دنياك : يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

الحب مع اختلاف الدين

قال أبو الطحان الأسدي ، وكان نديماً لناس من النصارى :

كأن لم يكن في القصر ، قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معي كل فضفاض الثياب كأنه إذا ما جرى فيه الدمام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

(١) في الصناعتين ص ٣٣٤ .

وللشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها :
أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءُ جَسْمًا بِاللِّحَاطِ يُشْرَبُ
ولفظه السَّخَرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ مُشْهَدٌ يَعَذُّبُ
فأعجب لشهيدٍ مُسَكِّرٍ من سِخْرِ
قابله بأحسنِ الكلامِ مُرَجَّبًا مُعْظَمًا مقامِي
ووجهه الوضاحُ في ابتسامٍ وَخَصَنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
وبالجميل والحيا والبشرِ

الحُبُّ فِي كُلِّ حَالٍ

قال عنتره العبسيُّ به يصف حبه لعملة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
أُحِبُّكَ يَا ظُلُومُ وَأَنْتَ مَنِّي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
ولو أَنِّي أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِيفْتُ عَلَيْكِ بَادِرَةَ الطَّعَانِ
وقال بعضهم ، في الوداع :
وَدَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ إِذَا رَاحُوا . . فَا سَلَّمُوا
وَاسْتَحْسَنُوا ظِلْمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ
وقال دُعْبُلُ الْخَزَاعِي :

وَقِفْ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي
أَجْدُ الْعَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةٌ
وَأَهْنَتِي ، فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا
مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
حُبًّا لَذَكَرْكِ فَلْيَكُنْ لِي الْوَمُ
مَا مِنْ يَهْوٍ عَنْكَ يَمْنُ يُكْرَمُ

حُبُّ النِّسَاءِ الْمَالِ

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ^(١) : كَانَ « نُبَيْهَةٌ وَأَخُوهُ مِنْبَهٌ » مِنْ وَجْهِهِ قُرَيْشٌ ، وَذَوَى النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَلَكِنْهُمَا قُتِلَا « بَيْدَرٌ » كَافِرَيْنِ ، وَكَانَا مِنَ الْمُطْعَمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ .

لَقَدْ كَانَ « نُبَيْهَةٌ » بَضْمَ النَّوْنِ وَفَتْحَ الْمُوَحَّدَةِ بِمَدِّهَا « يَاءٌ » سَاكِنَةٌ « فِهَاءٌ » وَكُنْيَتُهُ « أَبُو الزَّرَّامِ » بِتَشْدِيدِ الزَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، ابْنُ الْحِجَاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ سَمِيدَ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِص « بِالتَّصْنِيرِ » بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ . وَكَانَ نُبَيْهَةً شَاعِرًا مُطْبُوعًا عَلَى الْإِجَادَةِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نَقِيلٍ كَانَ يَقُولُ :

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطَقَانِ لِهَجْرَةٍ وَتَقُولَانِ قَوْلَ أَثَرِهِ وَعَثَرِهِ

فَقَالَ نُبَيْهَةٌ مِنْ الْقَافِيَةِ نَفْسَهَا ، فِي زَوْجَتِيهِ وَقَدْ سَأَلَتْهُ الطَّلَاقَ :

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطَقَانِ عَلَى عَمٍّ لِي أَنْ الْيَوْمَ قَوْلَ زَوْرٍ وَهَثَرٍ
سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَا مَا لِي قَلِيلًا . . . قَدْ جِئْتَانِي بِنُكْرٍ
فَلَمَلِي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي وَيَعْرِى مِنَ الْمَغَامِرِ ظَهْرِي
وَتُرَى أَعْبَدُ لِنَا وَأَوَاقٍ وَمَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمَ عَشْرِ
وَنَجْرُ الْأَذْيَالِ فِي نِعْمَةٍ ثُمَّ تَقُولَانِ : ضَعِ عَصَاكَ لَدَهْرِي
وَيَ كَانَ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحِبُّ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ
وَيَحِبُّ سِرَّ النَّجِيِّ وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحَضَّرٌ كُلُّ سِرٍّ

وَمِنْ شَعْرِهِ :

قَصَرَ الشَّيْءُ بِي وَلَوْ كُنْتُ ذَا مَأْ لَكَثِيرَ لِأَجَلَبِ النَّاسِ حَوْلِي
وَلَقَالُوا : أَنْتَ الْكَرِيمُ عَلَيْنَا وَلِحَطُّوا إِلَى هَوَايَ وَمِثْلِي
وَلَكِنْتُ الْمَعْرُوفَ كَيْلًا هَنِئًا يُعْجِزُ النَّاسَ أَنْ يَكِيلُوا كَكَيْلِي

(١) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ج ٣ .

وله أيضاً :

قالتْ سُلَيْمَى يومَ جِثْتُ أزورها لا أبْنى إلّا امرأَ ذا مالٍ
لا أبْنى إلّا امرأَ ذا أنْضُرٍ كِما أسدٌ مفارقٌ وخِلالي
فلا حرصنَّ على اكتسابِ مُحبِّبٍ ولا كسَبَنَ في عَفْةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج 2

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بأبنِ الْجَزَرِيِّ» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصنّاعة والرّفقة . كان إذا تكلم لا يظنّه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيّ غايةً في الحُسْن إلّا أنّه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرماً بشعر أبي العلاء المعرّي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللّزوميّات . وسمعه يقرّر في تلك الرّوْيا : أنّ الخير كلّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبعيّةُ عليه ، والشرّ كلّ الشرّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزريّ :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتابُ ربِّ العالمين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في الغزل :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ لو لمْ أُطِلْ أَمَلِ التلاقِ
فأظُلُّ كاللّسوعِ من أُنمى النوى ، ورجاى راقِ
يا ثالثَ القمرين إلّا في الكسوفِ وفي الحاقِ
حتّام دُمعى فيك لا يرقا . . ورؤى في التراقِ
وإلامَ يَسْتَسْقِى الفؤا دُ ظمأً ، وأجفانى سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
 والحب ما أروى الضأو ع جوى ، وما أروى المساق
 فمساك أن تجزى مَجِبَّة لك في المحبة بالوفاق
 ولقد لقيت هوالك أع ظم ما لقيت ، وما الأقي
 وصبرت فيك على العدا صبر الأسير على الوثاق
 وعلمت أن الصبر يا عذب اللّمي مرّ المذاق
 فأعرض عن الإعراض إء راضى لديك عن النفاق
 وارفق ولو بالإلتفا ت على ما بين الرفاق
 فلقد يكون تلفت الأ عناق داعية المناق
 واستبق مئى باللقا بواقياً ليست بواق
 أعضاء صبّ ، ماله إلّاك من عَيْنِيكَ واق
 فالبعض سود عيونها أمضى من البيض الرفاق
 وقدودهن رواشق في الطمن كالسمر الرشاقي
 وإذا بُليت بحبهن بُليت بالدّمع المراق
 ومن جيّد شعره قوله :

تتفدّاك ساقياً قد كساك الـ
 تُشرق الشمس من يدك ، ومن فيـ
 أوليس العجيب كونك بدراً
 فتنة أنت إذ تميت وتحبي
 لست من هذه الخليقة بل أـ
 يحسن من فرقك المضي لساقك
 لك اللّيا ، والبدر من أطواقك
 كاملاً ، والحق من عشاقك
 بتلاقيك من تشا ، وفراقك
 ت ملكك أرسلت من خلافتك

الحب خضوع النفس

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمرا الأهدل
اليميني الحسيني مشهوراً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المنخا ، وحصل له بها شأن عظيم ينبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طولى في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان
زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُجِدُّنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِي
قَدْ قُلْتُ حِينَ جَهَلْتَنِي وَعَرَفْتَنِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحَبَّتَهُ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَاوْفِي
وَلَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ النِّرَامَ وَأَهْلَهُ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصْطَفِي
وَقَالَ مَخْمَسًا قَصِيدَةَ ابْنِ النَّبِيِّ :

رَقِمَ الْمَذُولُ زَخَارِفًا وَتَصَنَّمَ وَأَشَاعَ نَقْضَ الْعَهْدِ عَنْكَ وَشَفَّعَا
فَأَجَبْتَهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمَعَا أَفَدِيهِ إِنْ حَفَظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعَا
مَلِكَ الْفَوَادِ فَاغْشَى أَبْ أَصْنَعَا

حَكَمَ النِّرَامُ فَلَذُّ بِهِ وَبَحْكِهِ وَابْتُتْ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبِ رَسْمِهِ
وَاخْضَعْ لِمَدَلِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ
خُلُوعًا فَقَدْ جَهَلَ الْحُبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بَلُطْفٍ جَمَالِهِ قَلْبِي أَقْتَنَصْ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكْصِ
وَثَبَاتُ حُجْلِي حِينَ زَمَرْتُمْ رَقْصِ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارِكُ الْعَمَّ بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَمَّا وَتَضَمَّنْضَمَّا
وَفَرَّتْ مِنْ نَهْلِ الْإِلَاحِظِ أَسْمُهُ وَكَلَمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ

وهجرتني ظُلماً ولم أُنظَلِّمْ هَلْ فِي فؤادك رَحمةٌ لِمُتِّمٍ
 ضَمَّتْ جِوانِحَهُ فؤاداً مُوجِعاً
 إِنِّي اعترفتُ بِزَلَّتِي وَجَنَائِتي وَرِضاكَ مَقْصُودي وَغَايَةُ غَايَتِي
 يَأْمَنُ ضَلَالِي فِيهِ عَيْنٌ هِدَايَتِي هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أُبْثِّ صَبَابَتِي
 أَوْ أَشْتَكِي بُلُوأِي أَوْ أَتَضَرَّعًا ؟
 لِي فِي حِمَاكَ مَسَارِحٌ وَمَطَامِحٌ كَمْ بَثٌّ لِلْعُزْلَانِ فِيهِ أَطَارِحُ
 يَا قَلْبُ إِنْ الْيَوْمَ طَيِّبَكَ نَارِحُ يَا عَيْنُ عُدْرَتِكَ أَنْ حُجِي وَاصِحُ
 كُلِّي لِفُرْقَتِهِ أَرَادَ وَأَزَمَ مَا

أشقى الناس أبوها

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
 له مذاكرة تأخذ بلُبِّ الصاحب ومحاضرات وتُرغَّبُ من محاضرات الراغب ، وله شعر
 قصير منه قوله :

كُتِبَتْ وَأَفْكَارِي بِحَبِّكَ مُزِقَتْ كَمَا قَدْ بَدَتْ فِي الْحَبِّ كُلِّ مَمَزِقِ
 وَلَوْ حُمِّ لِيَ التَّوْفِيقُ كَفْتُ تَرْكَنَهُ وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُوْفِقِ
 إِذَا قِيلَ أَشَقَى النَّاسُ مَنْ بَاتَ ذَا هَوًى فَلَا تَفَكَّرُونَ هَذَا الْمَقَالَ وَصَدَقِ
 وَقَالَ مُتَفَرِّلاً :

سَأَلْتُهَا عَنْ فؤَادِي أَيْنَ مَسْكَنُهُ فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
 قَالَتْ : لَدَى قُلُوبِ جَمَّةٍ جَمَعَتْ فَأَيُّهَا أَنْتَ تَبْنِي ؟ قُلْتُ : أَشَقَاهَا

رابعة العدوية

روى ابن خلكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرق
بالنار قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتفت : ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظنّ السوء !
وكان سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عندها يوماً ، فقال : واحزنه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزنه ! . لو كنت محزوناً لم يهياً لك أن تتنفس .
وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيته في المنام تقول : هدايك ثانياً على
أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمال فلا أعدّه شيئاً .
ومن وصاياها : اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .
وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :
إِنِّي جَعَلْتُكَ فِي الْفَوَادِ مَحْدَّتِي وَأَبَحْتُ جِسْمِي مِنْ أَرَادَ جُلُوسِي
فَلَجِسُّمُ مَنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفَوَادِ أُنِيسِي

الحب أحسن المعاصي

في « لوعة الشاكي ودمعة الباكي » لابن الصفي :
انتصف الليل ، وأقبلت عساكرُ السعد بالرجل والخيّل ، فأمرت صاحبي برفع المدام ،
وتجهيز المرقد للنم ، ورفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطلال ، وعلق في المرقد
نفحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والمنبر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : ثم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت بمن تحققنا منه المروءة والشفقة ، فأخرج عناور
الباب بالحلقة. ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم
بنا لننام ، وأنعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت :
في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقْعِدُهُ سُكْرًا وحاول أن يَسْمَى فلم يُطِقْ

وقال لي بفتورٍ من لوحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنق

فقال : استغفر الله من الفجور واللفظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في النلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل
وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إلَّا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ فَإِنِهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقَاءِ

فإن زعمتم بأنَّ الحبَّ مَعْصِيَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُعْصَى بِهِ اللهُ

الهوى قدر

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد
قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلي . ومعناه : إن البرق يضحك
والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلع
في الغمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصماني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَىٰ أُرْوِيَتْ مِنْ ظَمًا
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ الْهَوَىٰ بَدَلُ
فَحَسَبُ نَفْسِي غَنَىٰ عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تَجَازَى
فَالِ أَهْوَى الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَنِينَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعَتْ وَعَشْ سَلِيًّا

وَلَا فَكَسَتْ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
مِنْ أَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوءًا وَمَحْذُورًا
مِنْ الْهَوَىٰ وَبِأَنِّي كُنْتُ مَعْدُورًا
هَوَاهُ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخْيِيرًا
لَمْ تَلَقْ مُذُ الْفِتْنَةِ النَّفْسُ تَغْيِيرًا
وَلَا اضْطِرَارٍ أَتَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا
فِي الْوَصْفِ قَدَرُهُ الرَّحْمَنُ تَقْدِيرًا
وَلَنْ تَرَىٰ لِلْهَوَىٰ فِي الْعَقْلِ تَدْيِيرًا
تَكُنْ لَدَيَّ عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

وَتَسْلُكُ فِي الْهَوَىٰ سَنًا سَوِيًّا
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا ؟
وَلَا أَرْضَىٰ مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيًّا
خَسِيسْتُ عَنْ أَنْ أَحْيِيَ أَوْ أُحْيَا
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ النَّادِي لَطِيفَتِهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدٍ أَلَمَ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاهُ ، وَأَنَّى فِي مَحَبَّتِهِ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدُهُ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ

عَرَّجَ أَنْبَتُكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجَدُ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوَدَّهَ آخِرَ الْأَيَّامِ اجْتَهَدُ

وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

أنواع الحب

ضروب المحبة (١)

المحبة ضروب: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والمعرفة . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسر يجتمعان عليه ويلزمها ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد (٢)

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسما ظليّة . فإن طلبوا فأعطيهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودمهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملاوا حياتك ، ويحبّوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإنّي لمأول غصباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم وجِلْدَةُ بَيْنِ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ وقال : إن ابني سالماً ، ليحب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عَبْدُ اللَّهِ ، ثمَّ كان عَلْقَمَةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنتُ يا داودُ .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ أَلْفُهُ فيه حتَّى اشتريتُ له شِكْوَةً بِدَانِقٍ .

وقال زيد بن عليٍّ لابنهِ : يا بُنَيَّ ، إنَّ الله لم يَرْضَكَ لى فأوصاك بى ، ورضيتنى لك فحذرنى ، واعلم أنَّ خَيْرَ الآباءِ للأبناء من لم يدعهُ التَّدْلِيلُ إلى التفريط ، وخَيْرَ الأبناءِ للآباءِ من لم يدعهُ التَّقْصِيرُ إلى العُتُوق .

وفى الحديث المرفوع : « رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ » . وفيه أيضاً : الأولادُ من ريحانِ الله .

وقال النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لما بُشِّرَ بِفاطمة : « رِيحَانَةُ أَشْمَهَا وَرُزْمَا عَلَى اللَّهِ » .

ودخل عمرو بن العاص ، على معاويةَ وبين يديه بنته عائشة . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ الْقَلْبِ . فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهنَّ كَيْلِدُنَ الْأَعْدَاءِ ، وَيُقَرِّبُنَ الْبُعْدَاءِ ، وَيُورِثُنَ الضَّعَائِنَ .

فقال له معاوية : لا تقتلِ ذاك يا عمرو : فوالله ما مَرَضَ الْمُرَضَى ، وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى ، وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ . وربَّ ابنٍ أخت قد تقع خالُهُ .

وقال المعلَّى الطائى :

لَوْلَا بُنَيَّاتُ كَزُغْبِ الْقَطَا يَرُدُّنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لى مُضْطَرَبٌّ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَبْنِنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
وكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُرَقِّصُ الْحُسَيْنَ بن عليٍّ رضى الله عنهما وتقول :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَهُ النَّبِيَّ أَيْسَ شَبِيهَا يَمَلِّ

وكان الزبير بين العوام يرقص عروّة ابنه ويقول :
أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
التدّه كما ألدّ ربق

وقال أعرابي يرقص ولده :
أعرف منه قلة النّماس وخفة من رأسه في راسي
وقال عبد الملك : أضربنا في الولد حُبنا له ، فلم نُؤدّبهُ ، وكان الوليد أدّبنا (١) .

* * *

حبّ الأيامى واليتامى

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادى الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى كَلَبَ العدو علينا فأيمنا
وأيمنا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنت مُقبلة من البادية في رِفقة ، فخرجت علينا خيل
عدو فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تمكّمتُ في وادى الحجارة مُسندًا أراعى نجومًا ما يرينَ تغيّرًا
إليك أبا العاصى نضيتُ مطيقي نسير بهم ساريا ومهجّرًا
تداركُ نساء العالمين بُنصرة فإنك أحرى أن تُغيثَ وتُنصُرًا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنفَ ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادى الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أى أرض العدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، فنزا
تلك الناحية ، وأئخّن فيها ، وفتح الحصون والديار ، وقتل من العدو عددًا كثيرًا . وجاء
إلى الوادى فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أسره له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفح الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدور ، وأنكى العدو ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعز نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :
 ألم تر يا عباس أُنِّي أجبتُها على البُعْدِ أقتادَ الخيسَ المظفراً
 فأدركتُ أوطاراً . وأبردتُ غلّةً ونفستُ مكروباً وأغنيتُ مُعسراً
 فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب (١)

قول لسان الدين الخطيب :
 أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد
 أبياتاً من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :
 تسأليني : مَنْ أَنْتَ ؟ وَهِيَ عَلِيمةٌ وهل بفتى مثلي على حاله نُكْرُ
 فقامت كما شاءت وشاء لها الهوى قتيالك ، قالت : أيهم فهم كثر ؟
 وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
 من حي عن بينة » .
 ثم قال المؤلف : « وهذه حكيم تجرى مجرى الأمثال : المحبة بحرٌ بعيد الشط ، والفناء
 مُنتهى الخط . المحبة مهوى من بعيد ، ومجالٌ وعدٌ ووعيد .
 المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتسكبه . كم قصص المحبة من ظهر ، وكم سير
 صوّت إلى قهر . »

(١) في نفع العليبي ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغلة

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قُلْتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ... زَائِرٌ	وَلَا يُبْلِغُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادِي بَنِي	قُلْتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفُ بَاتِرِ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قُلْتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قُلْتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قُلْتُ : فَإِنِّي سَابِغٌ مَاهِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قُلْتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَتَحَوَّلِي إِخْوَةً سَبْعَةً	قُلْتُ : فَإِنِّي كَأَنَّهُمْ حَاضِرُ
قالتُ : لَقَدْ أُعْيِيْتُنَا حُجَّةً	قُلْتُ : إِذَا مَا جَمَعَ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَامُ وَلَا آمِرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة (1)

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال المبرّد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان ممّا قال في تلك الخطبة : « أمّا بعد ، فإنّ محمداً ممن لا يوازن به فتي من قريش إلا رجح به ثرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان في المال قِل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنفه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله المبرّد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إنّ عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجرّ معه في مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرية لها وقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ قال : كلاً . فقالت : ولم ؟ فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلّا تراك كفواً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُستخياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .
وقد شاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصدق الأمين . وقد سمعت خديجة وهي سيدة من نساء العرب به ، ورغبت في أن يتجر بها لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصنحبه خادمها « ميسرة » . . . الذي شاهد بأشاهد من طيب الخلال ، والصدق في الأقوال ، والإخلاص في الأعمال . وقص الخادم على سيده ذلك . ومن ثم آنت في سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكرأ راضياً . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من الساحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتكبره بحمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمانة المخلصة .

وبينما كان يتحدث في غار ثور ، نأياً عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارئ . فضم إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفي الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زملوني » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت : والله لن يزيك الله أبداً .

إنَّكَ تصل الرحم ، وترحم الأرامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثمَّ رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذى ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً ، حتَّى بلغ الأربعين ، معاشرة كلهاً الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرفع المكانة . فتقول : « كلَّ شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء » ، فهو صاحب الأمر والنهى . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، فى أتم وأكمل ما يتصوره العقل الذكى واللب الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكم حزنَ عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتَّى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قط . فما إن كان بمجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتَّى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلة : أولم أكن يارسول الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغيّر وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحدٌ ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معاشراً ، وملأت على أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبه ألا تذكرها إلا بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال صلى الله عليه وسلم : « تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ الْوُدُودَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَإِنَّ مَسْكَاتِرَ بَسْمِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى مسجد البصرة فقال : أبغى امرأة . فقيل له : ما صِفَتُهَا ؟ قال : أريدها بكرةً كثيب ، أو ثيباً كبيراً ، حلوة من قريب ، نعمة من بعيد ، كانت فى نعمة وأصابها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذو الحاجة ، إذا اجتمعنا كُنَّا أهل دنيا وإذا افترقنا كُنَّا أهل آخرة .

السيدة سكينة بنت الحسين

كانت سكينة بنت الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فأت عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمعه إلا الإذعان لأمر سلميكان . ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بنيرها من الجوارى صارت طالقة . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرة السكينية منسوبة إليها . ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء الماء أبرد
هني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنا على الأحشاء تنقد ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قلت وأبثنتها سرى وبخت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألسنت تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطى هوالك وما ألقى على بصري

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبي . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فأت بها - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميها زبراء ، قالت : أسميها باسم إحدى أمهاتي ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فأت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

(١) ابن خلكان ج ١ .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أختي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكيما ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نسكت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعهُ خابَ البقيع وخاب فيه الزارعُ

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا ينيرها ، ولا يمنحها شيئاً تريده ، ولا يمنح أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبته ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثالها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بمضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتُك ؟ قال تجدينني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : يا سكينه ، أخفك ناسكة وأنت مزاحاة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام ^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم أمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شَبَّبَ الفرزدقُ بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة
فأخرجها منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :
نَفَاكَ الْأَغْرُابُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تُنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ
وطافت سَكينة بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أُعيت
في أول طواف ، ونظر إليها العرجيُّ ، فقال :
يَقْمُدَنَّ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَةً وَيَطْفُنَّ أَحْيَانًا عَلَى قَتَرٍ
حَتَّى اسْتَلَمَنَّ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ مِنْ لَيْلِمَنْ يَطَّانَ فِي الْأَزْرِ
فَفَرَّغْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ
فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفِنَ سَبْعًا
لجهدت أحشأؤهنَّ » .
وكانت سَكينة - رضى الله عنها - على جانب وافر من الخلال الطيبة فوق ما امتازت به
من كريم المحمّد ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي فحافة .
فأحبّها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة
وسماحة الخُلُق . وكانت عبلة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على قسط وافر من العلم والأدب ،
والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها
قائلًا له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلّتك عن معشيتك ، فطلّقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ
لَهَا خُلُقٌ سَمِيعٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدُقٌ
أَعَاتِكَ ، لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَاحَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الطَّوْقُ

أعَاتِكَ لَا أَنْسَاكِ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ
أعَاتِكَ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مَعَلَّقٌ
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ
فَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً ، أَصَابَهُ مِنْهُمْ
فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جَرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِعَاتِكَةَ حِينَ احْتَضَرَتْ : لَكَ حَدِيقَةٌ مِنْ مَالِي
وَلَا تَنْزَوِجِي . فَقَبِلَتْ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أعَاتِكَ ، قَدْ طَلَّقْتَ عَنِّي بُعْصَةً وَرَاجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَايِرٌ وَرَاضٍ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايِنٌ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنٌ
أعَاتِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً وَإِنَّكَ قَدْ حَلَلْتَ عَلَيْكَ الْحَاسِنُ
وَإِنَّكَ مِمَّا زَيَّنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيَّنَ اللَّهُ شَائِنُ
فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّا لِلَّهِ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ
كَيَّاتٍ^(١) فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيهِ :

فُصِّحْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيراً
فَقَالْتُ لَا تَنْفَكْ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنُورَا
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأُصْبَرَا
إِذَا شَرَعْتَ فِيهِ الْأَسْنَةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا
ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خُطِبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَمَلْتُ عَلَى نَفْسِي
مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِيجِ . فَقَالَ : اسْتَفْتِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَتْهُ فَقَالَ
رُدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجِي . فَرُدَّتِ الْحَدِيقَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) (١) يَعْنِي بِذَلِكَ جِزَاءَهُ عَلَى مَا أَكْتَنَزَ مِنَ الدَّنَانِيرِ « يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . . . »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خذرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخيصة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً
فبكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عُمر قالت :
وفجعتنى فيروز لادر دره بأبيض تال للقران منيب
روؤف على الأذنى غليظ على العدا أخی ثقة في السائبات نجيب
متى ما يُقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت :

عين جودي بمبرة ونحيب لا تملّ على الإمام النجيب
فجعتنى المنون بالفارس المقة دم يوم الهياج والتذيب^(١)
عصمة الناس والمؤمن على الدهر ر وغيث المُنْتَاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته المنون كأس شعوب
نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فتزوجها
الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أُنْهاني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرت به ضرب عجزتها بيده . وكانت عظيمة
المعجزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إنّا لله . وترك الخروج ،
فقال لها الزبير : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسّد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مُعرِّد
يا عمرؤ لو نهته لوجدته لاطشاً رعى الجفان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتممّد

(١) إكثار الذب والدفع . وفي الأغاني التليپ .

ثم خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إننى أشفقُ عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر ففرجت معه إلى مصر ، فقتل ومثّل به ،
فقلت :

لَيْنٌ تَقْتُلُوا أَوْ تَمُثِّلُوا بِمُحَمَّدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْخَمْرِ^(١)
فتزوجها عمرو بن الماص .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له : لا تدعهن يخرجن فيتخذنه دغلاً . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تقول : لا تدعهن ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطى رحمه الله فى كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عائكة بنت زيد بن عمرو بن ثعلبة عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته فى الخروج إلى المسجد ، فشقّ عليه ذلك وكره أن يمنعها . فأذن لها ، ثم انكمن لها فى موضع مظلم من الطريق ، فلما مرّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فسكرت راجعة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تسبّح ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس ناس ، وأما اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس

نقل الجرجاني فى كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبى الفرج الأنصبانى ، أن عبد الملك بن عمير قال : ألقى امرؤ القيس بن حجر ألاً يتزوج امرأة حتى يسألها عن « ثمانية وأربعة وائنين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . . . فبينما هو فى جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لمتها ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثّل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثّل به تمثيلاً : إذا نكّل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنتان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة ، وأمّا اثنتان فتديا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وصرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثمّ إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نخباً من سمن ، ونخباً من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بمض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثمّ أتاها - وهي خلوفاً - فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقّ النفس بنفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاءكم نضب . فقدم الغلام على مولاها فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس بنفسين فإنّ أمّها ذهبت تقابل نفسها ، وأمّا قولها أخي يراعى الشمس فإنّ أخاه في سرح له يراعه ، وأمّا قولها : إن سماء كم انشقت فإنّ البرد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إن وعاءكم نضب فإنّ النخبين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثمّ إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فعبّز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتّى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثمّ قالت : اسقوه لبناً خائراً أي حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدّم ، فنام .

فلما أصبحت أرسلت إليه : إنّي أريد أن أسألك فقال : سليني عما شئت . فقالت : ممّ تختليج شفتهاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : فممّ يختليج فخذاك ؟ فقال : لتورّكي إياك . قالت : عليكم فشدّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى خبيته وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرمها وذبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأقْبى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريبة ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَرِّطَى عَلَيْكَ
فِي الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ ، فأرسل إليها : أَنْ سَلَى عَمَّا شِئْتُ . فأرسلت إليه : مِمَّ تَخْتَلِجُ شَفْتَكَ ؟
قال : لَشَرْبِ الشَّمَشَعَاتِ . قالت : فِمِّمَّ يَخْتَلِجُ كَشْحَاكَ ؟ قال : لِلْبَسَى الْحَبَّرَاتِ . قالت :
فِمِّمَّ يَخْتَلِجُ نَفْذَاكَ ؟ قال : لِرُكُوبِ الْمَطَهَّمَاتِ . قالت : هَذَا زَوْجِي لِعَمْرَى فَعَلَيْكُمْ بِهِ ، واقتلوا
العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبها حين رآها ، فأنجب بجمالها ، وسألها ، فسكان
جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان

كانت أم عقبة ، وهى امرأة من بنى يشكر - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما
شعر بدنو أجله أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن بمدى والذى تضمرين يا أم عقبة
تحفظين من بمد موقى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غُربه
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجملته آخر حظى منك ، وأنشدته :
قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أم عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرما هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومراث أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو فر ، فارعى لي حقَّ حُسن الوفاء
إننى قدر جوت أن تحفظى العـمـد ، فكونى إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي (١)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن ابن أخى الأعمى ، عن عمه ،
وأبو حاتم عن أبى عُبَيْدَةَ . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنَّ الله ، فتحاتماها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أكرماء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القِرَى وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنسكة فى زى سائلة ، تتمرّض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عليها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هَلَّا سَأَلْتِ بَيْنِي نَبْهَانَ مَا حَسْبِي عند الطعانِ إذا ما احمرَّتِ الحَدَقُ
وجاءت الخليل مُجَمَّرًا بَوَادِرُهَا بالماء يسفح عن لَبَّائِهَا المَلَقُ

(١) فى أمالى الزباجى .

والخيلُ تعلمُ أنى كُنتُ فارسَها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ العَدِيقُ
هذا النناء ، فإن تَرَضَى فراضيةً أو تسخطى فإلى من تعطفُ العُنُقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرم أحساباً وأشهر أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حَاجَتِي فيمن قضاهَا
فما وطىُّ الحصا مثل ابن سُعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عُنَّتْ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتماً فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همّه فكلك أسير أو معونة غارم
وإن تنكحى زيدا ففارس قومه إذا الحربُ يوماً أقدمتْ كلَّ قائمٍ
وإن تنكحى تنكحى غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرفَ العشيرة هادمٍ
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ سَمَرَتْ بأنفسها نفسى كفعل الأشايم
وإن طارق الأضيافِ لآذَ برجله وجدت ابن سُعدى للقرى غير عاتمٍ^(١)
فأنى هُدى أهدى لك الله فاقبلى فإننا كرام من رؤوس الأكاريم
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجرُ وقد جَدَرْتَنِي فى طلابكم العُدُرُ
أماوى إما مانع فمبِينُ وإما عطالا لا يُنْهِنُهُ الزَّجَرُ
أماوى ما يغنى الثراء عن الفقى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصَّدْرُ
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وَفْرُ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الجرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهم شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمَرَضِي الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتْك نفسى !

(١) أى : غير مبطى .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوَّج سحيم بن حفص - بمائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها
فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أيا طَلَحَ إِن كُنْتَ أَعْطَيْتَنِي جُمَالِيَّةً تَسْتَحِفُّ الضَّفَّارَا
فَمَا كَانَ نَفْعَكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مَرَارَا
أَبُوكَ الَّذِي بَايَعَ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْهَيْدَى حَيْثُ سَارَا

وقال أيضاً عن سحيم : صارت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقها زعارة ، وكان يلقى
منها البلاء ، فقيل له : طَلَّقْهَا ، فقال :

وإِنَّ فِرَاقِي أَهْلَ بَيْتِ أَوْدُهُمْ لَهْمُ زُلْفَةٍ عِنْدِي لِأَحَدِي الْعِظَائِمِ
فَكَيْفَ يَصْنُو الْعَيْشَ مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمْ وَسُخْطُهُمْ يَوْمًا . . . عَنِ الْأَنْفِ خَاطِمِي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوّجته فهو عليّ كظهر أمي . ثم سألت أهل
المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة
ألف . فقال أنس بن أبي أنس بن زنيم :

تُعْطِي الْفَتَاةَ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبِيتِ سَادَاتِ الْجَنُودِ جِياعاً
لَوْ فِي أَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَتْ وَأَبْشُهُ مَا قَدْ أَرَى لَارْتِئاعاً
فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعباً قدم خيره .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟
قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأحبّها ، وكانت
امراًة جميلة في أذنّها عِظْمٌ ، وفي ساقها حَوْشَةٌ^(١) . وقال قوم : في قدمها عِظْمٌ .

(١) الحوشة : الدقة .

ورؤى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي مصعب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع سترأ فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالمشي وهو جالس ، فأشار إليّ بيده وقال : أرايت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلت من ليلى لذن طرشاربي إلى اليوم أخفى حبها فأباين^(١)
وأحمل في ليلى لقلبي ضغينة وتحمل في ليلى على الضنائ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان يديها . وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فلهكادت أن تستقل حتى خذلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنّا بك لمتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإعراقها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة (٢)

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالاً وتاماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الرّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقعتة وهي تتشوف له فوجدها سليمة ومعهما أختاهما : رضا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكته وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر فى ذلك هذا الشعر :

تشكى السُّمَيْتُ الجُرَى لما جهدتُه ويين لو يستطيع أن يشكِّمًا
فقلت له : إن ألقَ للمين قرَّةً فهان على أن تكلَّ وتسأما
لذلك أدنى دون خيلى رباطه وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي لأن لم أقل قرناً إن الله سلما
فقال مسلماً بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مسلماً : أكانت الثريا كما يصف عمر
ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال خيف من أهلها وماقى الرِّحالِ
ياسليان إن تلاق الثريا تلقَ عيشَ الخلود قبل الهلالِ
دُرَّةً من عقائل البحر بكر لم يشنها مُثاقِبُ لآلى
تعقد المئزر السَّخَام من الحرِّ على حقو بادئ مكسالِ
وحدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثني
كثير بن كثير السهمى قال : لما ماتت الثريا ، أتانى الغريض فقال لى : قل أبيات شعر أنح
فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزيفة تبكيين شجواً فشجوك مثله أبكى العيوننا !

أبو الأسود الدؤلي وامراته وابنها

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته في ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كل أخذهُ ،
فقاتلت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطني وعاءه ، وحجري فناءه ، وثدي
سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى
فصاله ، وكلتُ خِصاله ، واستوكت أوصاله ، وأملتُ نَفْعَهُ ، ورجوتُ دَفْعَهُ ، أراد أن
يأخذهُ مني كَرْهًا ، فَأَنْصِفْنِي فَقَدْ أَرَادَ قَهْرِي ، وحاول قَسْرِي .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعتهُ قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه
في أدبه ، وأنظر في تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمهُ حِلْمِي ، حَتَّى يَكْمُلَ عَقْلُهُ ، وَيَسْتَكْمِلَ
نُبْلَهُ .

فقاتلت المرأة : صدق أصلحك الله . حملهُ خِفًا ، وحملته ثِقَلًا ، ووضعه شَهْوَةً ، ووضعتُهُ
كَرْهًا .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهي أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجَمِكَ .

* * *

المجرد والمرأة التي تبعها

قال ابن وهب : تبعْتُ جاريةً إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتني نبذاً وغنّت على عُودها
بصوتٍ ما سمعتُ أعذبَ منه ، ولا أأنفَدَ إلى القلب :

كَأَنِّي بِالْجَرْدِ قَدْ عَلْتُهُ . . . نِمالُ القَوْمِ أَوْ خُشْبُ السَّوَارِي

فقلت لها : جُعِلْتُ فداءك ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه مما يُفَنِّئُ به . قالت : أنا أولُ
من تفنّئ به ، وإنما هو بيتٌ لا يدري قائله ومعه بيتٌ آخر .

قلتُ : سرّيني بأن تغنيّني لعلّي أفهم . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتغني به .
قال : وجعلتُ لأنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيناً وجاءت العشاء الأخيرة ،
وضعت عودها ، فقامتُ فصلّيتُ وما أدري كم صلّيتُ عجلةً وتشوّقاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي جُعلتُ فدائك في الدنوِّ منك ؟

قالت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ ثمنّا . ثمّ ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدت أن أشقّ ثيابي من العجلة للخروج منها ، ولما قت بين يديها متجرّداً . قالت :
انته إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريق إلى الزاوية ، أردت
اجتياز حصير في الغرفة ، فما كدت أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرّق تحتّه ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كمنّا في ناحية ، وأعدّا نعالهما . فلما هبطت عليهما
بادراني فقطعاً نعالهما على قفّاي ، وجاء أهل السوق ، فشاركوهم في ضربتي حتّى أنسيتُ اسمي
وبينما أنا أُخبطُ بنعالٍ مخصّوفةٍ ، وأبديّ قفّالٍ ، وخُشبٍ دِقّاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
يغنيّ :

كأنّي بالمجرّد قد علّته نعالُ القوم أو خُشبُ السوّاري
ولو علّم المجرّد ما أردنا لبادرنا المجرّد في الصحاري

الشعراء العشاق

جميل بثينة (1)

إنَّه لمَعلوم أن بُثَيْنَةَ محبوبة جميل قائد الشعر، وقد نسب بعض الشعراء بنسأء مخصوصة، واشتهر كل واحد منهم بمن تغزل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثير بعزة، وعروة ابن حزام بعفراء، وقيس مجنون بنى عامر بليل، وقيس بن ذريح بلبنى، والمرقس بفاطمة، وذو الرمة بمَيَّة وهي الخرقاء، والعباس بن الأحنف بفوز.

وبعض الشعراء لا يلتزم التفرُّل بامرأة مخصوصة كأمري القيس .
وبُثَيْنَةُ مصغر . بثنة - قال صاحب الصحاح : البثنة - بالتسكين : الأرض اللينة ،
وبتصغيرها سميت : بُثَيْنَةُ .

أمَّا قصة جميل بن معمر العذري ، فقد روى صاحب « الأغاني » بسنده ، قال :
اجتمع جميل مع جماعة من رهطه يتحدثون . فقال بعضهم : بالله حدثنا بأعجب يوم لك مع
بثينة . قال : نعم . مُنِمْتُ من لقائي مدة ، وتعرَّضْتُ لها جهدي فلم أصل إليها ، فبينما أنا ذات
ليلة جالس بين شجرات بالقرب من حيها ، وقد أقيمتُ ثلاثاً أنتظرها ، إذا شخص قد أقبل
إليّ ، فجلست وانتضيت سيفي ، فلم ألبث أن غشيني الشخص ، فإذا هي بثينة قد أكتبَتْ
عليّ . فأدهشني ذلك ، وبقيت متحيراً لا أحيِر جواباً إليها ، ولا أراجعها كلمة حتى برق الصبح ،
وما استطعت أن أكلمها .

قالوا : فهل قلت في ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدة طويلة . .

وهذه أبيات من أولها :

أهاجَكَ أم لا بالتناضب مَرَّيْجُ ورسمٌ بأحراج الغديرين ، بَلَقْعُ

ديارُ الليلِ (١) .. إذ نَحُلُّ بها معاً وإذ نحن منها في المودة نَطْمَعُ
 فياربِّ حَبِيبِي إِلَيْهَا ، وَأَعْطِنِي ۖ مودةً منها ، أنتَ تَعْطِي وتَمْنَعُ
 وإلا .. فَصَبِّرْنِي وَإِنْ كَفَتْ كَارَهَا فَأَيُّهَا يَا ذَا الْعَارِجِ مُوَلِّعُ
 فَإِنْ يَكْ قَدْ شَطَّتْ نَوَاهَا وَقَدْ نَأَتْ فَإِنَّ الْقُوَى مِمَّا تُشِيتُ وَتَجْمَعُ
 جَزَعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لِمَا تَحْمَلُوا وما كان مثلي يَا بَشِينَةَ يَجْزَعُ
 تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَانُوا بِنَظَرَةٍ وهل عاشقٌ من نظرةٍ يَتَمَتَّعُ ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بَشِينَةَ خبره . فرأسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، ووعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجا عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدّ عليهما ، فاتقيا بالهرب . وناشدته بَشِينَةَ بالانصراف وقالت : إن أمت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تفاشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات السَّتَّة :

بمختلف الأرواح يَبْنَ سُوَيْقَةٌ وأُحْدَبَ (٢) كادت بعد عهدك تَخْلُقُ (٣)
 أضرت بها النكباء (٤) كل عَشِيَّةٍ ونَفَحُ الصَّبَا (٥) والوابل (٦) المتَّبَعُ (٧)
 وقفت بها حتى تَحَلَّتْ عَمَائِي (٨) وملّ الوقوف الأَرْجِي (٩) المُنَوَّقُ (١٠)

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب ببشينة . ولما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معشوقاتهم أحياناً .

(٢) سويقة وأحدب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) نفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوابل : المطر العظيم . (٧) المتبع : المطر العظيم .

(٨) عمائى : يفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرجى : الجبل النجيب منسوب

إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل خل ، وقيل موضع . (١٠) المُنَوَّقُ : المذلل كالناقة .

وقال خليلي : إنَّ ذا لَصَّبَابَةٌ ألا تَزْجُرُ القلبَ اللجوجَ فيلحق
تَعَزَّ وإن كانت عليك كريمةٌ لعلَّكَ من أسباب^(١) بثنة تُعْتَقُ
فقلت له : إنَّ البُعَادَ يشوقني وبعضِ بَعَادِ البين والنأيِ أشوقُ

كثير عزة

من «بلاغات النساء»^(٢) ماحدثني الزبير بن بكار، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن يلقى من يحج من قريش في كلِّ سنة بهديَّة ، فمَقَّل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكَلْبَةً جَمَّلاً ، واستقبل الشَّمْس في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتَّى احترق وضجَّ وجاء وقد راح النَّاس ، إلا فتى من قريش تخلف ومعه راحلةٌ له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فإني لجالس إذ أقبل كثيرٌ فجلس إلى جنبي ولم يُسَلِّمْ . ثم جاءت امرأة جميلةٌ وسيمةٌ ، فاستندت إلى خِيَمَةٍ من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثير بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

وكنْتُ إذا ماجئتُ أجلن مجلسي وأعرض عني هيةً لا تجمهاً

قال : نعم . فتأمَّلت وجهه مبتسمة وقالت : أعلی مثل هذا الوجه هية ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثيرٌ : من أنت ؟ واحتدَّ عليها وهي ساكتة . ثم قال لها : لو أعلم من أنت لقطعتُكَ وقطعتُ قومك هجاء . فلما سكن ، قالت له : أنت الذي تقول :

متى تنشروا عني العامة تُبصروا جميل الحيا أغفلته الدَّواهنُ ؟

أنت جميل الحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) وقوله : لعلَّكَ من أسباب بثنة . روى بدله : لعلَّكَ من رق لبثنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجرك كثير ، وسكنت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنه هرقلي وزنٍ أحرُّ التَّبرِ وازنُ
 أهذا الوجه يروق العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد ضجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعك وقومك ، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبَت .
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديده ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك على إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبي هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزَّههما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير -
 وهو مولاى - قد أبيت أن أخبره من هى .
 قال القرشى : فرحت وبى أشد مما بكثيراً .

عمر بن أبي ربيعة

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقاً للحاسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

فلمّا تقضى الليلُ إلّا أقله	وكادت توالى نجمه تتنوّر
أشارت بأن الحى قد حان منهم	هبوب ولكن موعد لك عزّور
فلما رأت من قد تنبه منهم	وأيقاظهم قالت : أثير كيف تأمر ؟
فقات : أباديهم فإمّا أفوئهم	وإمّا ينال السيف ثأراً فيثأر
فقات : أنحققاً لما قال كاشح	علينا ، وتصديقا لما كان يؤثّر
فإن كان مالا بدّ منه فغيره	من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختي بدء حديثنا	ومالى من أن تعلم متأخر

لَمَّا هُمَا أَنْ تَبَغِيَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْحَبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعِينَا عَلَى فِتْي أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ
فَأَقْبَلْتَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْلَى عَلَيْكَ الْوَمَ فَالْخَطْبُ أَيَسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مَتَسَكِّرًا فَلَا سِرَّ نَا يَفْشُو . وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَكَانَ بَجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثَلَاثَ شَخْصٍ : كَاعْبَانَ وَمَعْصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذَنَ أَحْبَابِي غَدَاً يَقُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُحُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَنْشُتُكَ عَبْرَةٌ تَعْمَلُ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نُهُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلُّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَا ، وَأَوْشَكُهُ قَلِي وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُوِخْتُ عَنْهُمْ بَلِيلِي ، وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا كَيْلُ أَنْ تَنْفَهَمِي بُنْصَحِ أَتَى الْوَاشُونَ أُمُّ بَحْبُولِ
فَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوَدَّةً فَقَدْ مَا تَخَذْتُ الْفَرْضَ عِنْدَ بَذُولِ
وَإِنْ تَبْخُلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْتُ نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليلي باللول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديمُ وصالَه
ولم أرَ من كَيْلَى نوالاً أعدّه
يلومك في كَيْلَى وعقلك عندها
يقولون : ودّع عنك كَيْلَى وَلَا تَهِم
فا انتفعت نفسى بما أمروا به
وقالوا : نأت فاختَر من الصبر والبكا
توليت عزوئاً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكمُ
وما زلتُ من كَيْلَى لدُنْ طرّاً شاربي
إذا غُيِبَتْ عنه باعنى -
ويحفظُ سرّى عند كلِّ
ألا ربّما طالبت غير
رجالٍ ، ولم تذهبْ لهم
بقاطعة الأقوان ذاتِ خلا
ولا عُجِبْتُ مِنْ أقوالهم
فقات : البكا أشقى إذن
أقاتلني كَيْلَى بنير قَتِيل
ومالَ بنا الواشون كلِّ
إلى اليوم كالمَقْصَى بكلِّ

حب امرئ القيس

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بخصب أرضها - جبل يقال له :
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويعلو الماء فيه .
يقال له « طامي » ويقال له أيضاً : ثورُ الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأ-
وقد ذكر البكري أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك
ينى عليه الظلّ وارفاً جيلاً من نبات العرمض ، بخضرته اليانعة ورائحته الطيبة
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من قرائضها د
تيممت العين^(١) التي عند « ضارج » ينى عليه الظلّ عرّ مضها طامي
وإنه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله صنمها .

(١) إشارة إلى الماء .

(٢) الطامه : المرتفع الذي يعلو نباته الماء .

ذو الرِّمة وميَّة

اشتهر ذو الرِّمة بحبِّ خرقاء ، ولُقِّبَتْ : ميَّة . ومما يؤثّر عنه أنّه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلقُ حبال الرسائل
وأهله ودِّ فد تبرّيتُ ودّهم وأبليتُهم في الحمد جَهدي ونائلي

توبة وليلى الأخيلية

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد المبرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أنّ « ليلي الأخيلية ^(١) » لم تكن امرأة
توبة بن الحخير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شابك ، إلّا أنّهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبٍّ عفيفٍ دهرًا ، وتلك هي السُّنةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنّه كان يطلبه بنو عوف - فأحسُّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقًا ،
وبيّنه وبين الحى مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعا قابضاً والمرهفات تنوشه فقبّحت مدعوا ، ولبيّت داعياً
فياليت عبد الله حلّ مكانه فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً
ومن جيد ما ترويه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المنابرُ
فلا الحى ممّا يحدث الدهر سالمٌ ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسرُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بلى وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدُ نكَّ اللهُ توبةَ هالكٍ أنا الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادمتُ على غصن ورقاه أو طار طائرُ
قتيلُ بنى عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضمّر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى نافر » يقال : نشر الله الموتى فلهشروا - أى . أحياهم فحيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميئاً إلى نحرها عاشَ ولمْ يُنقلِ إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميتِ النّاسرِ

ومن أغرب ما روى فى (الصّدّى) ما رواه أبو على من أن ليليّ الأخيلية مرّت مع زوجها فى بعض نجهم بالوضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليليّ الأخيلية سلّمتُ على ، ودونى جندلٍ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة . . أو زقاً إليها صدّى من جانبِ القبرِ صائحُ

فقال له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قاطظ ، فلمّا دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بمحجرة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، ففطرت راحلتها ووقمت ، فماتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالمنطق . كما يروى أن أحد المولعين
بالخمر قال :
إذا ميتٌ فادفِنِي إلى جنبِ كرمي تروى عظامي في المات عروقها
ولا تدفوني في الفلاة فإنني أخاف إذا ماتت ألا أذوقها
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاكرٌ له فإذا هو عليه عريش ،
فتمعجب من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعملة ، فأكثرته له من
الدعاء . فقال : خفف عليك أبا العباس ، فليس ذلك لعملة ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حلف الظريف بقطعه يده إن مسّ من يهواه بالآلم
حتّى إذا ضاق الفضاء به جعل الفصاد تحلة القسم
قلت : حسن أيها الأمير . فأسببه ؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فألمت لما نالها من الألم ، فخلعت بقطع يدي ، فأفتيت بالفصد ، ففعلت . وأنشدنا الأخفش
لأبي نواس :

ما بال قلبك لا يقرُّ خُفوقاً وأراك ترعى النجمَ والعُيوقاً
وجفون عينك قد نثرن من البكا فوق الدماغم لؤلؤاً وعقيقاً
لو لم يكن إنسان عينك ساجحاً في بحر دمعته لمات غريقاً

بحر هوى ليس له شطّ

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكيّ ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعْبَثْ بِهَا فَأَنْشَأْ يَقُول :
خنساء خنساء وحتّى متى يرتفعُ الناسُ وتَنَحَّطُ
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقتي خيْطُ
فَقَالَتْ خنساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بي بَحْرُ هَوَى ليس له شَطّ
يدركُك الوصلُ فتَنَجُّوْ به أُوْقع الهجر فتَنَحَّطُ

حب زينب بنت إسحاق النصراني

من فوائد الرَضَى الشَّاطِبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيّان في الحبّ قال : وهو من
غريب ما أنشدنا الإمام الأغرّ رضي الله عنه محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشاطبي
لزينب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ وتيمّ لا أحاولُ ذكرهم بسوء ولكني محبٌّ لهم
وما يترين في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصاري تُحبُّهم وأهل النّهي من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إنّي لأحسبُ حبّهم سرى في قلوب الخلق حتّى البهائم

التائب من الحب

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوك مديح الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فَيَخْلَوْتُ بِهِ يَوْمًا ، وداعبته بعبارة تُنْجِي عن شدة شغفي به ، فقال لى : حذار أن تعود لثل هذا الكلام ، فليجذران آذان ، ورب عثرة لسان ، أودت بإنسان . . . ولكن إذا لم تستطع الكتمان ، فاكتب لى ما تحب أن تقوله فى ورقة فتكون فى أمان واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منى ، وكتبت فى ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ الْوَرَى صِلْ هَائِمًا قَدْ ظَلَّ فِيكَ مُحَيَّرًا
وَأَمْنٌ عَلَى بَسَاعَةٍ فى خَلْوَةٍ إِن كُنْتَ تَطْمَعُ فى الْهَوَى أَنْ تُوجِرَا
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً فى هذا المعنى ، ثم دفعت إليه الورقة خلسة .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلى فى غيرها : إناكَ لَتَمَلِّمْ أُنًى مِنْ بَيْتِ عَرِيقٍ
فى التَّقْوَى . وسأبقى عندى خطك شاهداً على ما فرط منك ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأُطْلِعَنَّ
عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .
أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أرغب إليه فى أن يرُدَّ الرُّقْمَةَ
إلى ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بألا ترجع إلى التكلّم فى ذلك الشأن .
ولم يسمعنى إلا أن امتثلت ، لأنّى رأيت صيانتي وناموسى فى يده ، وتبت عن مثل هذه
المداعبات .

(١) فى نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طيّاتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحدٍ ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فن وسائله قلائده :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى
دفعان في الأجفان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميني
بمودعين ، وليس لي قلبان

وقوله من أخرى :

قلت للعين حين شامت جمالاً
من بروق كواذب الإيماض
لا يغرنك هذه الأوجهُ الغرّ
فيارب حية في رياض

وقوله من أخرى أيضاً :

خليلي عهدى بالليالي صوافياً
أورخ يوم الموت يوم افتقادها
ولا تحسباً عيشي على فأنني
ولا البدر إلا طالعاً من بلادها
ولست أحب الضوء إلا لوجهها
لسار فؤادي في طريق فؤادها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها
نفدت وحق الله قبل نقادها
خليلي هل أبصرتما مثل أدمعي

وقال بعض الحكماء : ما آنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أعان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفي كتاب مُسَلِّمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقفى عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم : أىُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : التى تسره إذا نظر ، ولا تَعْصيه إذا أمر ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشهاب » : « النظرُ إلى المرأة الحسنة يزيدُ فى البصر » والله درُّ أبى نواس إذ يقول :

يزيدُك وجههُ حُسْنًا إذا ما زدتهُ نظرًا

وقال شاعر آخر :

ويُفْجِعُ من سِوَاكَ الفِعلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

وقال غيره :

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ جاءتْ محاسنُهُ بِألفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة

قال العُتْبِيُّ^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَمَدَةً ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشاشَةً كَتِفَيْهَا ، وَحَلَمَةً نَدِيهَا ، وَرَضْفَى رَكَبَتَيْهَا ، وَجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وَأُنْشَدَ :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ والتَّدْيُ لِقَمَصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وإذا الرِّيحُ مع العِشْيِ تناوَحَتْ بَهَنَ حاسِدةً ، وَهَجَنَ غَيُورًا

وقال آخرُ : لَيْتَ فُلَانَةً حَطَلَى من أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سرُّهُ إِلَيْهَا حتَّى قبضَ اللَّيْلُ بَصْرِي دونَهَا ، وإنَّ من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفي الظَّمَاءَ .

(١) فى العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهتِ بها الأرضُ شمسُ سماءِها ، وليس لي شفيحٌ في افتضاءها ، وإنَّ نفسي تُسكتُومُ لِدائها ، ولكنَّها تفيضُ عند امتلائها . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أرضِها التي تَمُّ نورُها فباهتِ بها الأرضُ شمسَ سماءِها
شكوتُ وما الشكوى لمِثلي عادةً ولكنَّ تفيضُ النفسُ عند امتلائها

وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحبُّ في القلب ، فانتقل إلى المِعدة ، إنَّ أَطعمتهُ شيئاً أحبَّها ، وإلا فلا . كان الرجلُ إذا أحبَّ امرأةً ، ظلَّ حولاً يطوفُ يدارِها ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفِرَ منها يجلسُ تشاكياً وتناشداً الأشعار ، وإنَّه اليومَ يشيرُ إليها وتشيرُ إليه ، ويمدُّها وتمدُّه ، فإذا اجتمعوا لم يشكوا حبًّا ولم يُشيدا شعراً .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وكتَمانه وصبره على من يُحبُّه ولا يطيق سُلوَانه :

شكوتُ فقالت : كلُّ هذا تبرماً يحبِّي ، أراحَ الله قلبك من حُبِّي
فلما كتمتُ الحبَّ قالت : لشدَّ ما صبرت ، وما هذا بفعل شجى القلبِ
وأدنو فتُفصيني فأبعدُ طالباً رضاها ، فتتعدُّ التَّباعُدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها وتجزعُ من بُعدي ، وتنفرُ من قُرْبِي
فياقوم هل من حيلةٍ تعلمونها ؟ أشيرُوا بها ، واستَوْجِبُوا الشكرَ مِن رَبِّي

الوصف بعد المشاهدة (١)

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكَلِم في نظم الشعر ، واتَّخذ لنفسه طرائقَ سهلةً ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسَّ به ، واستساغه ، ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً يقرُّبه إلى الفهم ، حتى يتذوَّق أنعامه المستمعُ شرباً

(١) في خاص الخاص للثعالبي .

عذباً ساسبيلاً ، ويملاً به الحزون صدره نسيماً صافياً عليلاً ، ومن بدائع طرفه قوله :

أفدى الذى قال وفى كفّه مثل الذى أشرّب من فيه

الورد : قد أينع فى وجنتى قلت : فمى بالثمر يجنيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برّح الحب بمشتاقك فأولاه أحسن أخلاقك

لا تجفّه وارعه له حقّه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصّد الحبيب :

ياليت عيني تحمّلت الملك وليت نفسى تقسمت ستمك

وليّت كف الطيب إذ فصّدت عرفك أجرت من ناظريّ دمك

أعرته صينغ وجنتيك كما ثميره إن لثمت من لثمك

طرفك أمضى من حدّ مبضعه فالحظ به العرق واغتنم الملك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للعارض السارى تلّهيه وكيف طبق وجه الأرض صلبه

هل استعان جفوني فى تنجده أم استمار فؤادى فهو يلهيه

ومنها :

بجانِبِ السّكرَمِ من بعدّاد لي قمره لو لا التّجمل ما أنفك أندبه

وصاحب ما صحب الدهر مدمدّت دياره ، وأراني لست أصحابه

فى كلّ يومٍ لِمَينى ما يؤرّفها من ذكره ولِقَلِبي ما يمدّه

وما اليعادُ دهاني ، بلّ خلايقه ولا الفراقُ شجاني ، بلّ تجنّبه

وله أيضاً :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع فقلت : ولكنّ مطلب الرزق ضيق

إذا لم يكن فى الأرض حرٌّ يُمينى ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

أُسْنَانُ النِّسَاءِ (١)

قال أبو الحسن الأخفش : من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعرا ضعيفا ، قولُ ضَمْرَةَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تُلْقَ بِنْتَ « الْعَشْرِ » قَدْ نَصَّ نَدِيمُهَا .	كُلُّوْءُ النِّوَاصِ يَهْتَرُ جِيْدُهَا
تَجِدُ لَذَّةَ مِنْهَا خَلْقَةَ رُوحِهَا	وَعُرِّيَّهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيدُهَا
وصاحبة « العشرين » : لا شيء مثلها	فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوُ بِهَا وَتُرِيدُهَا
وبنت « الثلاثين » : الشفاء حديثها	هي العيشُ مَارَقَتْ وَلَا دَقَّ عُودُهَا
وإن تلقَ بنت « الأربعين » فغَبِطَةُ	وَحَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوَلُودُهَا
وصاحبة « الخمسين » : فيها بَقِيَّةُ	مِنَ الْحُسْنِ وَاللَّذَاتِ ، صُلْبُ عَمُودُهَا
وصاحبة « الستين » لا خيرَ عندها	وفها صَيَاغُ ، لا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
وصاحبة « السبعين » إن تُلْفِ مَهْرَسًا	عَلَيْهَا فَتِلْكَ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
وذات « الثمانين » الَّتِي قَدْ تَجَلَّتْ	مِنَ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وصاحبة « التسعين » يَرْعَشُ رَأْسُهَا	وبالليلِ مَقْلَاقٌ قَلِيلُ هُجُودُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْآخَرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ	وتحسبُ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا عَبِيدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢)

عُرف الشيخ سعيد السَّعْمَانُ الدَّمَشْقِيُّ ، بحُبِّ الْجَمَالِ ، وشغف بتصوير ما يَعشَقُ تصويرا حساسا ، ومن قوله مضمنا مصراعه الأخير :

يَارُبَّ ظَنِي كَالْدَامَ حَدِيثُهُ	فَيُسَيِّفُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
قَدْ خَلَّتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ	مَرَاةٌ حُسْنُ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا مَحَ فَسَكَّاتُهَا	هي دَارَةُ الْبَدْرِ فِيهَا يَلْعَبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨ .

وقال العالم أحمد المتيني ، مضمناً نفس المصراع :

عائنته وكأنه من لطفه راح تكادها اللواحظ تشرّب
بالعقل والشطرنج يلعب وهو في فسطاط حُسن للسرة يجلب
يمحكي الزمرّد خضرة فكأنما هي دارة والبدر فيها يلعب

(١) المرأة والطيب

يَحْمِلْنَ أَتْرُجَةَ نَضَحُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيِيبَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الأترجة هنا : كناية عن المرأة شبهها بها في طيب رائحتها ، وما في لونها من الصفرة
وكانت العرب تكره بياض اللون المفرط ، ولذلك كانوا يعيرون قول الأعشى :
ومن كل بيضاء رُعبوبة لها بشر ناصع كاللبن
وكانوا يستحسنون قول ذى الرمة :
صفراء في نعج بيضاء في دَعَج كَأَنَّهَا فُضَّة قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

(٢) نتف الوجه بالخيط

قال الناظم : لما استقرّ بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفننا الحنين إلى ما يُحَمَّدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :

فلما مضى شهرٌ وعشرٌ لميرها وقالو : يجيء الآن قد حان حينها
أمرت من الكتان خيطاً وأرسلت جرياً إلى أخرى قريباً تعينها

هذه امرأة تنتظر عيراً تقدّم وزوجها فيها ، فأرادت أن تنتف وجهها بالخيط وتمهّئ له .
والجري : الرسول . يقول : أرسلته إلى جارة لها تستعين بها في نتف وجهها بالخيط للتزيّن .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في المبنى ،

فقال :

فإزال يَجْرِي السَّلْكُ في حرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَتِهَا حَتَّى ثَنَّتَهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتَهُ : كَفَّتَهُ . وقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . ومنه قول مجنون كَيْلَى لزوجها :
بِرِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ كَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ فَأَهَا ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ كَيْلَى رَفِيفَ الْأَفْحَوَانَةِ فِي شَذَاهَا

تشبيه المرأة ببدر السماء

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أي : بَدَتْ مشبهة البدر ، وإذا تبدَّى
ظرفٌ لما دلَّ عليه كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ . أي : بَرَزَتْ هذه المرأة كاشفةً عن وَجْهِهَا ،
كأنها قد أُرْسِلَتْ تَقَابَهَا . ودَلَّ على هذا بقوله : كأنها بدرُ السماء إذا تبدَّى . وإنما فعلت ذلك
إِمَّا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّيَاءُ ، أو لما تَدَاخَلَهَا مِنَ الرَّعْبِ . ومثله قول الشاعر :
وَنِسَوْتَكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنُ إِمَاءً ، وَالْإِمَاءُ حِرَارٌ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة

ذكر المبرِّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التَّعَبُّدِ وَالْاجْتِهَادِ . فنزل في جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جارية منهنَّ جميلة ، فهُوِيَهَا وَهَامَ بِهَا عَقْلُهُ . ونزل بالجارية ما نزل به ، فأرسل يخطبها
من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسَّاة لابن عمِّ لها . فلما اشتدَّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى ،
أرسلت إليه الجارية ، قد بلغت شدة محبتك لي ، وقد اشتدَّ بلائي بك . فإن شئت زرتك ،
وإن شئت سهلت لك أن تأتي إلى منزلي . فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخلتين
« إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » أخاف ناراً لا يخبو سعيها ، ولا يحمد لهيها .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشركون . ثم انخلعت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبد . وهي مع ذلك تذبذب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك . فسكران الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ، ويدعو لها . فنلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نعم المحبة يا سؤلى محبتكم حباً يقود إلى خير وإحسان
فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيم وعيش لا زوال له في جنّة الخلد ملك أيسر بالفاني
فقال لها : اذكريني هناك ، فأثني لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتيانا عن قريب فترانا . فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسعى القس من عبادته . فرّ يوماً بجارية تغني ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشنف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحببك ، فقال : وأنا والله أحبّ ذلك . قالت : فما يعمدك ؟ فإنّ الموضع نخل ! قال لها : ويحك ، إني سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة (١)

خرج الرشيد في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عاتكة ، وكان قد بلغه أنها تعجب بسلام له اسمه « رشا » فأبعده ، وقيل قتله . ثم إنهما علقا من بعده غلاماً آخر اسمه « طلل » فكانت تسكّر من ذكرها له . فقال لها الرشيد : والله لأن ذكرته لأقتلنك ، فدخل عليها يوماً على حين غفلة وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » . فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثم أمسكت حتى لا تذكر اسم (طلل) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ ... فالذى نهى عنه أمير المؤمنين . فابتسم الرشيد وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أختي » .

وقيل إنه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَيَا سَرَحَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف ورّت « بِظِلِّ عَنْ طَلٍّ » بعد أن قدمت ذكر السّرحة - وهي الشجرة -
لتتمكن من لفظة ظلّ فتبعده التّهمة . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السّرحة أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهي الشاة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهة ، خطبها
جماعة من أشراف الخوارج فردّتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطريّ بن الفجاءة ، في جُند
(الأباضية) فكانت ترتجز في تلك الحروب وتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ حِمْلَهُ وَقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارج يقدّونها بالآباء والأمهات ، وكان « قطريّ » يُشبّب بها . وفيها يقول
في وقعة دُولاب ، وهو من رقيق النزل :

لَمَعْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرْ مِثْلَهَا
 لَمَعْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجَّهَهَا
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ
 غَدَاةَ طَغَتْ عُلَمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ
 وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى فَائِبَاتِ الدَّهْرِ جَدُّ لَيْثٍ
 طِعَانِ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ
 يَمُجُّ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
 أَغْرَ نَجِيبِ الْأُمَّهَاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَمِيمٍ
 تُبْسِخُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَتَعِيمٍ

* * *

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ (١)

وَلَا بِنَ الْوَرْدَى فِي « أَسْمَا » :
 أَرَى أَسْمَا إِذَا غَضِبَتْ وَصَدَّتْ
 وَإِنْ هِيَ وَاصَلَتْني طَابَ قَلْبِي
 وَفِيهَا أَيْضًا :
 قَدْ لَامَنِي فِي حَبِّ أَسْمَا عَاذِلُ
 فَاعْجَبَ لِمَجْرَى مَدَامِعِ أَوْقَفْتَهَا
 وَفِي آمَنَةٍ :
 قَدْ وَعَدْتَنِي بِالْوَفَا آمَنُهُ
 كَيْفَ يَخَافُ الْقَلْبُ مِنْ بَيْنِهَا
 أَكَادُ مِنَ الْفَرَامِ أَمُوتَ سَقَمًا
 كَأَنِّي بَثُّ أَوْقِيهِ بِأَسْمَا
 أَجْرِي مَدَامِعِ مَقْلَتِي بِدَمَا
 مِنْ فَعْلِ ذَاكَ الْحَرْفِ فِي أَسْمَا
 وَقَدْ غَدْتُ بِالرَّضَا آمَنُهُ
 وَمَهْجَتِي أَضَحَتْ بِهَا آمَنُهُ

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها
تهدّ دنى بالهجر في الوصل عامداً
ولالأزهرى في أنس :

آنست بالوصل مذ جاءت به أنس
عن مالك قد روى نيران وجنتها
وله في حليلة :

قالوا حليلة صبحت
لم لا ترقّ لحالي
وفي خديجة :

خديجة قد سبتني
وكانت الروح تقسو
وفيها أيضاً :

تعشّق في الهوى قلبي فتاة
أموت بحبّها شوقاً وأحيا

وفي زيب :

وعرض بذكري حين تسمع زيب
عساها إذا ما مرّ ذكري بسمعها

وفي سلمى :

لسلمى من لواظها سهام
إذا رامت تشكّ به فؤاداً

وفي عائشة :

أيّا دهرٍ خبرني بحقّك واشفني
أيّ حملٍ أني في المحبة ميّت

فسهام فكري في أموري طائشه
وحبيتي من بعد موتي طائشه

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أنت دعني أن أمت في حبها
تركت منه العوالى طائشه
ثم دعها بعد عيني عايشه

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
مت جوى وهى بذنا عالمه
ثم انثنت لى بأنها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قائمه
قد أرضعت طفل الهوى مرّة
عادلة مع أنها ظالمه
بوصلها ثم انثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قاتلتى قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كاظمه
ما الاسم ؟ قالت : فاطمه

وللازهرى فى نفيسة :

نفيسة بالها ملكت فؤادى
وقد حازت لفرط سنا بهاها
وأضحت فى ملاحظتها رئيسة
وذات الحسن مرتبة نفيسة

ولابن الجليل فى عالمة :

عالمة عاملة بالجفاء
قلت لها هل تعلمين الذى
قامتها عادلة ظالمه
ألقاه قالت إننى عالمه

وله أيضاً - فيها :

عالمة لها على
وأوتيت من كل شى
كرسيها فضل جسيم
ولها عرش عظيم

ولابن الوردى فى قابلة :

أقول لقابلة أدمى
أنا رجل مقبل للقا
على حبها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا
يصدر عن سمتها الراحمة
تكنم أسرار رقاعي لها
أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقت في عذابي
وبالغت في جدالي
خود تسيط غرامي
عن طرفها الغزالي

وللازهرى - في خياطة :

أحببها كالبدر خياطة
منزلها في القلب والطرف
فلى ركوب الفرج من وصلها
وللرقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كلف الفؤاد بظبية عجانة
ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادي بالنرام فئاؤها
من أدمعي ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائعة الجبن :

بائعة جبن منذ همت بها
رأى الورى روحى بها تعبانه
وكل أهل الحى قد تحققوا
بأننى أموت فى الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت فى رمضان من مسخرة
بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها
كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولا بن الوردى فى رومية :

رومية الأصل لها مقلة
تركية صارمها هندى
تفضحنى وجنتها فاعجبوا
من وجنة فاضحة الوردى

وله فى مصرية :

مصرية كأنها بدر
فجل من خلق
تملقنى مكرأ ولا
ينكر من مص الملق

وله في شاميّة :

شامية شامية بوجنتها
أخشى من الملامة إذا قبلتها
يرقّ لي في حبّها الشّامةُ
فسوم بختي ينطق الصامتُ.

وله في بدويّة :

وبني من البدو كحلاء الجفون بدت
فلو بدت لحسان الحضر قن لها
في قومها كهافة بين آساد
على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بي هيفاء من بنات العراق
ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعي وشدت وثاقي
بالعطايا رأيت باب الطّاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا
وقالت : احذر يا فتى فتنةً
في عينها شيء ولاجا هنا
للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السّطّا
ماظهر البدر من مشرقه
ولالأزهرى في مجوسية :

عابدة النور سنا نورها
قد أحرق قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا
فالويل ممّن يعبد الغارا

وله في نصرانية :

زنّار بنت النصارى
رجاني الشّد منه
فحّ لها أي فحّ
وكثرة الشّد ترخي

وقال آخر في مليحة تابع بالشطرنج

لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها

قالت : فنفسك ، قلت : حصّنتها

بالرخ شاة تسترت بالفيل

لكن خذي فرسي هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما (١)

قيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟
فقال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !
والنسيبُ والتغزلُ والتشبيبُ كلها بمعنى واحد .
قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتخلُّقُ بما يوافقهن ، فمن جملة بمعنى التغزل فقد أخطأ .
وقد نبّه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .
وقال الحاتمي : من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً
بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان
في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتي انفصل واحد من الآخر وبأينه في صِحّة التركيب ،
غادر بالجسم عاهةً تنخونُ محاسنه وتُعفى معالم جماله .

يا ليل الصب متى غده (٢) ؟

من نوارد الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدي أيضاً .
وهو : كان أبو الحسن ، عليّ الحصريّ القيروانيّ ، ابنُ خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »
حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .
وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبّعة » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات
نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة
التي أولّها :

(١) في العمدة : لابن رشيقي ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنهما صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنانى أبو الفضائل المعروف
بالقمراوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملّ مريضك عودُهُ	ورقّ لأسيرك حُسدهُ
لم يُسقِ جفأك سوى نفيس	زفّات الشوق تُصعدهُ
هاروت يُعنّينُ في السَّحْ	ر إلى عَيْنَيْكَ وَيُسِندهُ
وإذا أغمدت اللَّحْظَ فَتَكْ	ت فكيف وأنت تجرّدهُ
كم سهّل خدك وجهَ رضا	والحاجبُ منك يُعقدهُ
ما أشركَ فيك القلبُ فكم	في نارِ الهجرِ يُخلّدهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فعلى :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رقدَ السَّمارُ فأرقه	أَسَفُ اللَّيْلِ يردّه
فبكاهُ النَّجمُ ورقّ له	مما يراهُ ويرصدهُ
كَلِفٌ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خوفَ الوَاشِينَ يشرّدهُ
نصبتَ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَا	في النَّومِ فَمَزَّ تصيّدُهُ
وكفى عجباً أنى فنصّ	للسَّربِ سَبَانِي أَعْيدهُ
صنمٌ للفتنة مُنتصبٌ	أهواهُ وَلَا أتعبدُهُ
صاحِ والخمرُ جنى فيه	سَكْرانُ اللَّحْظِ ممرّ يدهُ
ينضو من مُقلّته سيفاً	وكانَ نَعاماً يغمدهُ
فِيرِيقُ دَمِ المُشاقِ بِهِ	والويلُ لِمَن يَتقلّدهُ
كَلَا ، لاذنبَ لِمَن قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمَّ تَقْتُلْ يدهُ
يَأْمَنُ جَعَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وعلى خديهِ تورّدهُ
خدّاك قد اعترفا بدمي	فعلامَ جُفُونِكَ تجعّدهُ

إِنِّي لَأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنُّكَ لَا تَتَمَعَّدُهُ
بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَأَقَ كَرَّرِي فَلَمَلَّ خِيَالَكَ يُسَعِّدُهُ
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِّي صَبَّ يَدُنِيكَ وَتُبَعِّدُهُ
لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ
وَعَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . . يَتَزَوَّدُهُ
يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقْ بِالذَّمْعِ يَفِيضُ مَوْرَدُهُ
يَهْوَى الْمُشْتَأَقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ
مَا أُخْلِ الوَصْلَ وَأَعْدَبَهُ لَوْلَا الْإِيَّامُ تُنَكِّدُهُ
بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجَدُّدُهُ
الْحُبِّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسان وضاعة الوجه (١)

كان لعزّ الدولة غلام ذكيّ وضيء الوجه ، ولفرط ميله إليه — جملة رئيس سرية جردت للحرب ، ولم يستحسن المهيلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَنِّي يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُهُ
نَاطُوا بِمَعْقَدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
جَمَلُوهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهيلى ! .

وفى « خزانة الأدب » للبغدادى ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هى التى تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هى التى كلما كرّرت بصرك منها زادتك حسناً .

(١) فى نفع الطيب .

وقيل : الجميلة هي السَّمينَة من الجليل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبحِ لبياضه .

وروى أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلبوا الخيرَ عندَ حسانِ الوجوه » .

وقال ابن عمر : قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثةٌ تَجْلُو البَصَرَ : النظَرُ إلى الخُضرة ، والنظَرُ إلى الماءِ الجارى ، والنظَرُ إلى الوجهِ الحسنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثلاثةٌ يُذهِبْنَ للمرءِ الحزنَ الماء ، والخُضرةُ والوجهُ الحسنُ

كواكب لا كواعب

كُن عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد الم طويلة والمقاطيع ، وأتى بما أخرج زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المعسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسالولة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضى علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبى الشَّموسِ الجانحات غواربا » وفيها يقول :

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ الشُّهُودِ ذَوَائِبًا	فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْمَةً	غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِيضٌ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا	وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاكِبًا

سَفَرَنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
وسفرن لي ، فرأيت شخصاً حاضراً
أُفْرِقَنَ فِي حُلَلٍ كَانَ أَدِيمَا
وغربن في كِلَلٍ ، فقلت لصاحبي :
وَمُعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنِي عِطْفُهُ
حُلُوُ التَّمَتُّبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ
عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
فَأَرَانِي الْخُلْدَ السَّكِيمَ فَطَرَفُهُ
ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
لَاغَرَوْ إِن وَهَبَ اللَّوَاظِظَ حَظْوَةً
أُسْبَلَنَ مِنْ ظُلَمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبَا
شُدِّهَتْ بِصِيرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبَا
شَفَقْتُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا
« يَا بِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا »
فِيحَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّبِيحَةِ شَارِبَا
عَتَبِي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا
وَأَزُورُ الْخَاطِطَ وَقَطَّبَ حَاجِبَا
ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةَ مُغَاضِبَا
نَهْبَا وَإِنْ مَنَحَ الْعَيُونَ مَوَاهِبَا
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَائِي نَاهِبَا

كل فتاة بأبيها معجبة (١)

أرجوزة للأغلب المجلى ، يقول فيها :
كريمةٌ أخوالها والعصبه
قَبَّاهُ ذَاتُ سُرَّةٍ مُقَعَّبَةٍ
كأنها حَقَّةُ مِسْكِ مُذْهَبَةٍ
مَمْكُورَةُ الْأَعْلَى رَدَاخُ الْحَجَبَةِ
كأنها حَلِيَّةُ سَيْفٍ مُذْهَبَةٍ
أَهْوَى لَهَا شَيْخٌ شَدِيدُ الْعَصَبَةِ
نَمَّ انْتَدَتْ بِهِ فُوقَ الرَّقَبَةِ
فَاعْلَنْتْ بِصَوْتِهَا : أَنْ يَا أَبَاهُ
« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب المجلى يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني (١)

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغابي السعدي الصقلي المعروف
بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى
ديوان الإنشاء للفايز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حَيَّا بِتَفَاحَةٍ مَخْضَبَةٍ مِنْ شَفَقَتِي حُبَّهُ وَتَيْمَمِي
فَقُلْتُ : مَا إِنْ رَأَيْتُ مُشَبَّهًا فَاحْمَرَّ مِنْ خَجَلَةٍ فَكَذَّبَنِي

وقال أيضاً :

وَأَصْلُ بَلِيَّتِي مَنْ قَدْ غَزَانِي مِنْ السَّقَمِ الْمُلِحِّ بَعْسَكْرَيْنِ
طَلِبْتُ طَبَّهُ كَغَرَابِ بَيْنِ يُفَرِّقُ بَيْنَ عَافِيَتِي وَبَيْنِي
أَتَى الْحَمَى وَقَدْ شَاخَتْ وَبَاخَتْ فَعَادَ لَهَا الشَّبَابُ بِنَسَخَتَيْنِ
وَدَبَّرَهَا بِتَدْيِيرٍ لَطِيفٍ حَكَاهُ عَنْ سُنَيْنٍ أَوْ حُنَيْنِ
فَكَانَتْ نَوْبَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ فَصَيَّرَهَا بِحَذَقٍ نَوْبَتَيْنِ

وقال أيضاً :

يَا وَارِثًا عَنْ أَبِي وَجَدْتُهُ فَضِيلَةَ الطَّبِّ وَالسَّدَادِ
وَحَامِلًا رَدَّ كُلِّ نَفْسٍ هَمَّتْ عَنْ الْجِسْمِ بِالْعِمَادِ
أُقْسِمُ لَوْ قَدْ طَبَبْتَ دَهْرًا لِمَادٍ كَوْنًا يَلَا فُسَادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بَيْضٍ سَلَكَنَ بِاللَّحْظِ بَيْضًا مُرْهَفَاتٍ جُفُونُهُنَّ جُفُونُ
وَحُدُودٍ لِلدَّمْعِ فِيهَا حُدُودٌ وَعُيُونٍ قَدْ فَاضَ مِنْهَا عُيُونُ

(١) في فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذَا مُتَمَعُ الشَّبَابِ يَمُورُ نَذَرُ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِرَّةِ
إِذْ يَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَعُ كَلِيلِ وَبِذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُوَ نَهَادِ
وَالْعَوَانِي لَا عَنْ وَصَالِ غَوَانِ وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَادِ

تشبيب عمر بن أبي ربيعة

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكتنزة
جانب وانف من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خلقها أنفة وعزّة وصرامة ، حتى
رأها يوماً فسبح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن
قال يشبب بمائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الفلأع.
لم يرُغنى إلا الفتاة وإلا دمعها في الرداء سحاً سحاً
عجّلت حمّةُ الفراق عكينا برحيلٍ ولم تخف أن تب
أنتِ أهوى العبادِ قُرباً ووُداً لو تواتينَ عاشقاً محز
قاده الطرفُ يوم مرّ إلى الحية نـ جهاراً ولم يخف أن يح
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضي للناظر
فإذا ظنية تراعى نماجاً ومهاً بهج الناظر عين
قلتُ : من أنتم ؟ فصدتُ وقالت أميدٌ سؤالك العالين
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا إذ تبتلّ الفؤاد أن تصد
أى من تجمعُ المواسمُ أنتم فأبيني لنا ولا تكذ :

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَ
 قَدْ صَدَقْنَاكَ أَنْ سَأَلْتِ فَنُ أَزِ تِ عَسَى أَنْ يَجُزَّ شَأْنُ شَوْوَنَا
 قَدْ نَرَى أَنَّ عَرَفْنَاكَ بِاللَّهِ تِ نَظَنُّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا
 بِسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَتَغَرَّ قَدْ زَاهُ لِنَاظِرِ مُسْتَبِينَا
 فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : وَاللَّهِ مَا قُلْتُ لَهُ هَذَا وَمَا كَلَّمْتُهُ قَطَّ .

وَأُنَابَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَائِدٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ بِمَكَّةَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ فَخَدَّمْتُهُ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَرُّ لِي بِأَعْوَانٍ ، فَصَبَّرَ إِلَيْهَا قَوْمًا يَكُونُونَ
 مَعَهَا ، فَخَجَّتْ وَمَعَهَا سِتُّونَ بَنًا عَلَيْهَا الْهُوَادِجُ وَالرَّحَائِلُ .

صُبْحُ الْمَشِيبِ يَدُلُّ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ (١)

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قَالُوا نِهَاهُ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُوزُ ثَمَّةٌ يَهْتَدِي
 كَمْ حَارَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّاهُ صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
 وَإِذَا عُدْتُ سِرِّي ثُمَّ نَقَصْتُهَا وَمَنْ الْهُمُومُ فَتَلَكَ سَاعَةَ مَوْلَدِي

الشاعر الغزال (٢)

من روائع البيان ما حكاه ابن حبان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم
 الرواسي ، وجه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني
 وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسر به سروراً عظيماً ، وقال من لدنه
 ودّاً وتسكريباً ، حتى إنه مال إليه ، وقرّب به لديه ، فطلب منه مناديمته ، إلا أنه امتنع لما أدرك
 جليلة الأمر معتذراً بتحريم الخمر .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءً، فما لبث الغزالُ لا يعيل طرفه عنها شغفاً بباهر ما استراه منها، وجعل الملك يحدثه وهو لا يهتد عن حديثه. فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأني قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه، فإني لم أر قط مثلاً. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجب جمالها ودلالها، حتى لكانما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال. كما سرت الملكة بوصفه لها.

غزال قد غزا قلبي (١)

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الحسين أو يزيد، وقد وخطه الشيبُ ولكنه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيبُ؟ فقال: وماتكرين من هذا؟ ألم ترى قط مُهراً ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُلِّفْتُ يا قلبي هوى مُتَعِباً	غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْفَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِجَوْسِيَّةٍ	تَأْبَى لشمسِ الحُسْنِ أَنْ تَفْرُبَا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا	يُذْفَى إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا
يَا تَوْدُ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِي	تُطْلِعُ مِنْ أَزْرَارِهَا الْكُوكَبَا
يَابَأْبَى الشَّخْصُ الَّذِي لَا أَرَى	أَخْلَى عَلَى قَلْبِي وَلَا أَعْدَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَةً لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذِبَا
قَالَتْ: أَرَى (فَوَدَيْهِ) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَنْ أَدْعَبَا

لها : ما باله . . . إنه قد يُنتجُ المهرُ كذا أُنمها
نضحكتُ عجباً بقولي لها وإنما قلتُ ليكي تعجباً
ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب فغدا عليها،
وقال :

كَرْتُ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشَبَابِي
شَيْبُ عِنْدِي وَالْخِضَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جُلَّتْ بِضَابِ
بِي قَلِيلًا ثُمَّ يُقْشِمُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لِنَهَابِ
نُكْرِي وَضَحَّ الشَّيْبُ فَإِنَّمَا هُوَ زَهْرَةُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ
ي مَا تَهْوِينِ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا وَطَلَاوَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

غرام أم جنون

مر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
لم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
دادها من الخاص ، وفي الأبيات التي يناجيها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ،
وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

كَنَّ مَتْنِي السَّقْمُ حَتَّى كَأَنِّي تَوَهُّمٌ مَعْنَى فِي خَفِيٍّ سُؤَالِ
سَأَحْتُ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي الْكَرَى لِأَشْكَلُ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ خِيَالِي
تُ بَرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ وَجُدْتُ بَقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي
خِفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي وَلَمْ أَقِصْ أَوْطَارِي بِيَوْمٍ وَصَالِ
نَ مَا لَقَى مِنَ الْوَجْدِ أَنَّهُ صَدُودُ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِ
كَانَ ذَلِكَ الصَّدُّ مِنْهُ مَلَالَةٌ شَدَدْتُ عَنْ الدُّنْيَا مَطِيَّ رَحَالِي

ثمّ ما لبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فة
 ما بال قلبك يستبين أبه غرام أم جنو
 برح الخفاء بما تجنّ فأذهب الشك
 حتى مشى بين الجوا نوح والضلوع هو
 وإلى متى قلب التّسليم في يد البلوى
 شخّصت له فيك العيون وقسمت فيك
 وسكنت الباب الورى بلوا حظ فيها فتو
 وقوام أغصان الريا ض وأين تدركك
 الحسن في الأغصان فنّ وهو في هذا
 من أين للأغصان ذا لك الحسن والسحر
 أم ذلك الورد الجنيّ بخدّه والياس

سلعوس وسلعسة (١)

قال إبراهيم بن المهديّ : كفت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي
 العبث : ياسلعوس . فقلت :
 أما لعريب أن ترى غير سلعسة فكوني كما أنت ، تك
 فقال المأمون على الفور :
 فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هؤالك شك أن ذا
 قال إبراهيم : فعجبت من فطنة المأمون . وقلت :
 كذا - والله - يأمر المؤمنين قدّرت ، وإياه أردت !

عاتكة بنت معاوية

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المِرْزبان - قال : حدثني محمد ابن عُمَر - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حَجَّتْ عاتِكةُ بنتُ معاويةَ بن أبي سُفيان - فنزلت من مَكَّةَ بِذِي طُوًى ، فبينما هي ذات يوم جالسةٌ وقد اشتدَّ الحرُّ وانقطع الطريقُ ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جوارِها فرفعن السَّترَ وهي جالسةٌ في مجلسِها ، عليها شُفوفٌ لها ، تنظرُ إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دِهَيْل الجُمَحِيّ - وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا . فوقفَ طويلًا ينظر إليها وإلى جمالِها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السَّترِ . وشتمته ، فقال أبو دِهَيْل :

إني دعاني الحَيْنُ فافتادني	حتى رأيتُ الظبيَ بالبَابِ
ياحُسْنَهُ إذ سبَّني مُدِيرًا	مُسْتَتِرًا عَنِّي بِجِلْبَابِ
سبحان من أوقعها حُسرةً	صُبَّتْ على القلبِ بأَوْصَابِ
يَدُودُ عنها إن تطلَّبَها	أبٌ لها ليسَ بِوَهَّابِ
أحلَّها قصرًا مَنيعَ الذرى	يُحْمَى بِأَبْوَابِ وَحُجَابِ

وقال أيضًا :

طالَ لَيْلى وَبَتْ كالمَحْزُونِ وَمَلَّتْ الثَّوَاءُ فِي جِرُونِ
وَأُطِلْتُ المَقَامَ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرْجَمَاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّمَرُّقِ جُمْلَةً كَبِكَاءِ القَرِينِ إِثَرَ القَرِينِ
وهيَ زَهراءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الفِوَاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبَتْهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءِ مِنَ المَسْكَرِمْ دُونِ
ثُمَّ خَاصَرَتْهَا إِلَى القُبَّةِ الخَضْفِ رَاءَ تَمَشَّى فِي مَرْمَرٍ مُسْنُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي وَتَقَلَّبْتُ كَيْفَاتِي فِي فُنُونٍ
كَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوَى طَارَ نَوِي أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح

قال ابن بسّام^(١): كان المعتصم بن صمادح، يوماً مع ندماثة. فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللب المطرب من الدك. وحضر أيضاً هناك لاعب مصري ساحر، فكان لعبه حسناً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد:

كَذَا فَلْتُلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاطِرًا نَاضِرًا
وَسَيِّبُكَ سَيِّبُ نَدَى مُنْدَقٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظَنَا مُحْيَا الْعَلَا سَافِرًا
وَأُطْلَعَتْ فِيهِ نَجُومَ الْكُؤُوسِ فَذَا زَالَ كَوْكُبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَتَنَاه. ثَابِ لَالْعَابِ بِهِ دَقَائِقُ تَنَثْنِي الْحِجَا حَاطِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرِّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَّهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْلَحْظُ أَثْنَاءَهَا فَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبدَاعِهِ فَا انْفَكَ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَمْعُكَ يَجْتَلِبُ الْمُغْرِيَاتِ فَيَجْمَلُ غَائِبُهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان

أهدى المنذرُ الأكبر^(١) إلى أنوشروان ، جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمّر النَسائي ، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلةَ الخلقِ ، نقيّةَ اللونِ والشَّعرِ ، بيضاءَ قمرَاءَ ، وطفاءَ كحلَاءَ ، دَعَجَاءَ عَيْنَاءَ ، قَنَوَاءَ شَمَاءَ ، بَرَجَاءَ زَجَاءَ ، أُسَيْلَةَ الخَدِّ ، شَهِيَّةَ المَقْبَلِ ، جَنَّةَ الشَّعْرِ ، عظيمةَ الهَامَةِ ، بعيدةَ مَهْوَى القُرْطِ ، عَيْطَاءَ عَرِيضَةِ الصَّدْرِ ، كاعبَ الثَدْيِ ، ضخمةَ مِشَاشِ المِنْكَبِ والعَضُدِ ، حسنةَ المِعْصَمِ ، لطيفةَ السَّكْفِ ، سَبْطَةَ البَنَانِ ، ضَامِرَةَ البَطْنِ ، خَمِيصَةَ الخِصْرِ ، فَرَّتِي الوِشَاحِ ، رَدَاحَ الإِقْبَالِ ، رَابِيَةَ السَّكْفِ ، لَفَاءَ الفَخِذَيْنِ ، رَبَاءَ الرُّوَادِفِ ، ضخمةَ المَاكِمَتَيْنِ ، مُفْعَمَةَ السَّاقِ ، مُشَبَّعَةَ الخُلُخَالِ ، لطيفةَ الكَعْبِ والْقَدَمِ ، قُطُوفَ المَشَى ، مَكْسَالَ الضُّحَى ، بَصْنَةَ المَتَجَرِّدِ . وهى سَمُوعَ للسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْسَاءَ وَلَا سَفْعَاءَ ، دقيقةَ الأنفِ ، عزيزةَ النفسِ ، لم تُغَدِّ في بؤْسٍ ، رَزِينَةُ حَلِيمَةٍ ، رَكِينَةٌ ، كَرِيمَةُ الحَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتُسْتَفْنَى بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جُمَاعِ قَبِيلِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتْهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمِلَهَا عَمِلَ أَهْلُ الْحَاجَةِ ، صَنَاعَ السَّكْفَيْنِ ، قَطِيعَةَ اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ ، سَاكِنَةً ، تَرِينُ الْوَلَى ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ .

إِنْ أَرَدْتَهَا اشْتَيْتَ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا انْتَهَتْ .

فارس عربي جميل

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أسمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني تَمَلْبَةَ ، فذهبتُ إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩ . (٢) في العزيز الخليل ص ٧٦٢ .

فروت بفناء خيمته ، وإذا غلامٌ ما رأيتُ مثله قَطَّ حُسْنًا وجمالًا . له ذؤابتان كأنهما السَّبْحُ المنظومُ ، تحت ذلك وجهٌ كالقمر ليلة تَمَّة . وعنده امرأة أحسنُ منه وأجلُّ ، وأكثرُ ما أسمع من كلامها (يا بُنَى) ، وهو يبتسمُ لها وقد غلب عليه الحياءُ كأنه كاعبٌ عذراء ، ولا يردُّ لها جوابًا من الاستحياء . فاستَحَسَّنتُ ما رأيتُ منهما ، فدنوتُ من الجباء ، فبصرتُ المرأةَ بي . ثمَّ قالتُ لي : يا حَضْرِي ، ما حاجتُك ؟ . فقلتُ : لا حاجةَ لي إلا الذي استَحَسَّنتُ مِنْكَ وَمِنْ هذا الغلامِ . فقلتُ : أتحبُّ أن أسمعَكَ شيئًا من خبرِهِ ، وهو خيرُ لك من نظَرِهِ ؟ . فقلتُ لها : هاتِي لهُ دَرُّ أَيْيَكِ . فقلتُ لي : إني حملته قِسْعَةً أَشهرٍ ، فسكنَّا في عَيْشِ ضَنْكِ كَدِيرٍ ، ورزقي نَزَرٍ حَقِيرٍ ، حتَّى إذا شاء اللهُ أن أضعه ، فوضعتُهُ - بحمدِ اللهِ خَلْقًا سَوِيًّا ، فلا وأَيْيَكِ ما هُوَ إِلَّا أن وضعتُهُ حتَّى منَّ اللهُ عَلَيْنَا ، وأَجَزَلَ وَسَهْلَ وَتَفَضَّلَ ، بِيَمْنٍ وَجْهٍ وسعادةٍ طَلَعَتْهُ . فسمَّيْتُهُ (مَالِكًا) ثمَّ أرضعته حَوَليْنِ كَامِلَيْنِ . فلما استتمَّ الرِّضَاعُ ، نقلته من المهدِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فنشأ بَيْنَنَا كأنَّهُ شَبْلُ أَسَدٍ ، نَقِيهِ بَرَدَ الشِّتَاءِ وحرَّ الصَّيْفِ . فلما مرَّ عليه خمسةُ أعوامٍ ، دفعته إلى مُؤَدِّبٍ يَمْلِكُهُ الْقُرْآنَ ، فقرأه وتلاه ، ونظَّمَ الشَّعْرَ ورواه ، حتَّى أتمَّ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فأركبته عِتَاقَ الْخَيْلِ فتفرَّسَ ، وَحَمَلَ السَّلَاحَ فتشرَّسَ ، ومشى بَيْنَ بُيُوتِ الْحَيِّ ، وأصغى إلى صوتِ الصَّارِخِ ، وأنا خَائِفَةٌ عَلَيْهِ وَجِلَّةٌ مُشْفِقَةٌ مِنَ الْأَلْسِنَةِ أن تشينه ، ومن الأَلمَاحِظِ أن تَعِينَهُ ، حتَّى شاء اللهُ أن تُصِيبَنَا سِنُونُ أَجْدَبَتْ بِلَادِنَا ، وكاد يهلكُ كِبَارُنَا وأَطفَالُنَا ، فخرَجْنَا إلى مَنَاهِلٍ غَيْرِ مَنَاهِلِنَا ، ونَزَلْنَا في غَيْرِ مَنَازِلِنَا ، فخرَجَ أَصْحَابُنَا لَطَلَبِ نَارِهِمْ ، وَخَلَّفَهُ عَنِ الرُّكُوبِ مَعَهُمْ وَجَعُ أَصَابِهِ ، فلا وأَيْيَكِ ما عَلِمْنَا حتَّى دَهَمَتْنَا الْخَيْلُ مِنَ الْعَدُوِّ ، ولم يتولَّنَا عَقْلٌ ، ولا هَدَوْنَا . فما كَانَ إِلَّا هَنِيئَةٌ حتَّى حازوا على الْأَمْوَالِ ، وانْهَزَمَ الرِّجَالُ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ يَسْأَلُنِي عَنِ الصَّوْتِ ، وأنا أَكْتَمُهُ خِيفَةً عَلَيْهِ . حتَّى عَمَلَتِ الْأَصْوَاتُ ، وَبَرَزَتِ الْحَبَّاتُ . فلما سَمِعَ ذَلِكَ نَارَ كَمَا يَثُورُ اللَّيْثُ الْمَغْضَبُ ، وَأَسْرَجَ فَرَسَهُ ، ثمَّ أفرغَ عَلَيْهِ لَأْمَةً حَرِيَّةً ، وتقلَّدَ سَيْفَهُ ، واعتَقَلَ رُمْحَهُ . ثمَّ لحقَ الْعَدُوَّ ،

فطعنَ أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجعوا إليه ، فأروهُ ولدًا لطيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
فمطفؤا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطعنًا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرَّ الباقيون !

غَنِيَّةُ : شَحَادَةُ

لو كان بالصبرِ الجميل ملاذهُ	ماسحٌ وابلٌ دمعهُ ورداذهُ
ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبهُ	حتى وهى وتقطعتْ أفلاذهُ
لم يبقَ فيه من النرام بقيَّةُ	إلا رسيسٌ يحتويه جذاذهُ
من كان يرغبُ في السلامة فليكنْ	أبدًا من الحدقِ المراضِ عياذهُ
لا تحذعنك بالفتور فإنه	نظرهُ يضربُ بقلبك استلذاذهُ
يا أيُّها الرِّشاشُ الذى من طرفه	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ نفاذهُ
دُرٌّ يلوحُ بفيك : مَنْ نظامُهُ ؟	خمرٌ يحولُ عليه : مَنْ نباذهُ
وقناةُ ذاك القدِّ : كيف تقوِّمتْ ؟	وسنانُ ذاك اللحظِ : ما فولاذهُ ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنَّ يجفُو عليه لآذهُ
هاروتُ يَمَجْزُ من مواقعِ سحرِهِ	وهو الإمام ، فن تُرى أستاذهُ
تالله ما عِلقتْ محاسنك امرأً	إلا وعزَّ على الورى استنقاذهُ
أغرِيتْ حُبَّكَ بالقلوبِ فأذعنتْ	طوعاً وقد أودى بها استنحواذهُ
مالى أنيتُ الحظَّ من أبوابِهِ	جهدى ، فدام تقورُهُ وليواذهُ
إياكَ مِنْ طمعِ المنى ، فميزهُ	كذليله ، وغنيَّةُ : شحاذهُ

العيون

لأعذبّ العين

قال الشاعر (١) ابن الصّدي يصف العيون :

هي التي توقّع القلب في التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهمّ والنّصب ، وترميه بدواحي
المهوان ودواهي الهوى ، وتسلمه إلى مكايده الغرام ومكايده الجوى ، لوعدّت بطول السّهر
وكثرة الدّموع وبفيض الشّتون وعدم الهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفسكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السّحر ، وبعدم الإغفاء وطول السّهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن
طما ، وعدمَ مَنال المنام وإن نما :

لأعذبّ العينَ غيرَ مُفكّرٍ فيما جرتْ بالدمعِ أو سالتْ دما
ولأهجرنَّ من الرّقادِ لذيدَه حتى يعودَ على الجفونِ محرّما
هي أوقعتني في حبايلٍ فتنةٍ لو لم تكنْ نظرتْ لكنتُ مسلّما
سفكتْ دمي فلاسفنحّ دموعها وهي التي بدأت وكانتْ أظلمّا

ولعلّ موجب هذه الواعظة ، والألفاظ التي هي بالتحذير لافظة أني خرجت في بعض الأيام
متفرّجاً وسارحاً ، وجائلاً بطرفي في الرياض وسائحاً ، وصحبني صديق لي في المحبة صادق ،
ورفيق لي فيما أروم موافق ، قد ملك كلّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلّ حذقٍ وظرافة ،
بنصبٍ لخدمتي لا يملّ ولا يسأم ، ويتعب في مرّضاتي لا يكلّ ولا يندم ، ويجتهد في موافقتي
لا يئس ولا ينم ، ويحسن مرافقتي لا يندم ولا يدّم ، قد اتخذته جُهينة أخباري ، وكزّاً
لخزائن أسرارِي ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجليل ، وهو عندي كما قيل :

برُوحِي مَنْ لا أستطيعُ فراقَه ومن هو أوفى من أخي وشقيقي
إذا غاب عني لم أزل متلفّئاً أدورُ بعيني نحو كلِّ طريقٍ

(١) في لوعة الشاكي ودمعة الباكي .

معاني لفظ العين

للامامة أحمد السَّجَّاعِي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة في معاني لفظ العين ،
وهي في فنها غريبة - قد احتوت على معاني في لفظ (عين) . وقد جملَ حروف اسمها في أوائل
أبياتها بالترتيب . وهذه هي القصيدة كما نُقلت من خط الشيخ مصطفى البدرى في كراسة
« مجموعة لنوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظنِّي الفلَا وكحيلَ عَيْنٍ ويا بذرَ الدُّجَى وضياءَ عَيْنِ
(الشمس)

حُميتَ من المسكارِ ياغزالًا حوى كلَّ الكمالِ بدونِ عَيْنِ
(العيب)

ملكْتَ القلبَ منىً يا حبيبي وحقَّ المصطفى الجُرى لَعَيْنِ
(الماء)

دعانا للهداية نِعَم طَه رسولٌ قد أبانَ لِطُرُقِ عَيْنِ
(حقيقة القبلَة)

أمينُ سيِّدُ ما فيه شكُّ به تُهدى الأنام بكلِّ عَيْنِ
(الناحية)

له ذاتُ خلتَ من كلِّ سوء وقلبٌ قد خلا من شَيْنِ عَيْنِ
(الرياء)

سما فوقَ السَّماءِ ونالَ قُربًا وخطبَ ربَّه وَحَظَى بِعَيْنِ
(النظر)

جميلُ النَّفسِ والأفعالِ قطعًا صفيُّ خالصٍ من قُبْحِ عَيْنِ
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المغفور له الامامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر.

أذاع الخيرَ فينا كلَّ وقتٍ	وعوَّذَ أُمَّةً من شرِّ عَيْنٍ
	(إصابة العين)
عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ	وَأُظْهِرَ دِينَهُ لَخِيَارِ عَيْنٍ
	(الجماعة)
يُقيمُ شريعةَ غُرَاءٍ فينَا	بِهَا... كَمْ قَدْ هَدَى مِنْ كُلِّ عَيْنٍ
	(الإنسان)
رَوْوفٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ قَلْبٍ	عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنٍ
	(الكبير)
كَرِيمٌ مُنْتَقَى ، بِحَرِِّ الْمَطَايَا	فَكَمَّ مَنَحَ الْأَنَامِ جَزِيلَ عَيْنٍ
	(المال)
عَظِيمٌ مُجْتَبَى قَدْ ظَلَلَتْهُ	لَدَى حَرِّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنٍ
	(السحاب)
خَلِيلُ اللَّهِ أَحَدُ ذَوِ كَالٍ	مَجِيرُ النَّاسِ مِنْ لَحْظِ بَعَيْنٍ
	(المطر)
رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ سَرِيعٌ بِأَسٍ	عَلَى قَوْمٍ لثَامٍ مِثْلَ عَيْنٍ
	(الطائر)
كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا	مُنِيتُ النَّاسِ مِنْ حَرِّ لَعَيْنٍ
	(شعاع الشمس)
رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ	لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَنْسَلُ عَيْنٍ
	(الخيار)
فَكَمْ صَرَفَتْ عَنَا مِنْ كُرُوبٍ	بِدُنْيَا ثُمَّ أُخْرَى عَمَدَ عَيْنٍ
	(الجد واليقين)
وَخَلَقَكَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ حَقًّا	حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنٍ
	(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منيية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظبي الفلا وكحيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها

في أول كتاب « سحر الميون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجفان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليعلم أيهما أصبر على النوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في ماءها سُميت : المُقَلَّة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أى : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولي عين تبأكت
وحاكت في فاعيلها الواضي فيالك مقلة غزلت وحاكت

و (الحدقة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقُ بها ،

ويقالُ : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ ... لَفَتَانِ ... أَي : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .
وقال الشريف الرضي :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تَنَاسَى وَقَدْ رَأَيْتَ سَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْعَشَاقِ ؟
فَتَكْتَبُكَ الْحَدَقُ الرَّاغِبُ وَلَمْ تَزَلْ تَسْتَجِي الْقُلُوبَ جَنَائِيهِ الْأَحْدَاقِ

و (الناظر) : السَّوَادُ الْأَسْفَرُ الَّذِي يُبَيِّنُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالْمَرْبُ يَقُولُ : هُوَ مِثْلُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَاطِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغَبُهَا ، وَبُؤْبُؤُهَا ، وَتَمَثَّلُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحَبُّهَا ، وَمَذَلِكُهَا .

قال ابن مطريف : وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذي في حاسة البصر ، والجمع : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لَصْنَانَهُ ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى صَحَّةِ الْحَاسَةِ بِمَا تَخَيَّلَ فِيهِ .

و (الناظران) - أَيْضاً : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يُقَالُ إِنَّهُ لَمُرْتَفَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرٍ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قال شارح كتاب الفصيح : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتَهَظْتُ وَتَنْظَرْتُ .

و (نظرت) بمعنى : رَحِمْتُ وَتَفَكَّرْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَعَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظرونا) أَيْ : أَمْهِلُونَا : قَالَ الشَّيْخُ بَرَهَانَ الدِّينِ الْقِيَرَاتِي :

يَا قَاتِلِي بَنَوَاطِرِي أَجْفَانُهَا بِسَيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلُوبُ لِلْغَزَالِ أَوْ الْغَزَالَةِ إِذْ رَنَتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغَيَّبُ

و (الحمايق) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حِمْلَقٌ - قَالَ ابْنُ مَعْرُوفٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا إِذَا قَلَبْتَ لِلْكُحْلِ - حِمْرَةً . وَقَالَ الزَّيْبَدِيُّ : الْحَمَائِقُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلْمُؤَخَّرِ الْعَيْنَيْنِ مَمَائِلِي الصُّدُغَيْنِ : الْحَقِيمَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ شَفَرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرَفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

إِذَا كَانَ شَفَرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهدابُ) : الشعرُ النابت عليها ، واحدها : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهملة ، قال الشيخ برهان الدين :

أهدابٌ لَحْظُكَ للورى شَرَكُ فَنَنْ أَوْثَقَتْهُ فِيهِنَّ لَا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النِّجَاةُ وَرُمِحُ قَدَّكَ مُشَرَّعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفُ لَحْظِكَ مُصَلَّتٌ؟

و(الحَجْرُ) : ما دار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمعها محاجر ، ويقال : مَحْجَرٌ - بفتح الميم وكسرهما ، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً ، وإنما سُمِيَ الحجر محجراً لأنه مفعول من الحجر وهو المنع ، فكأنه مانعٌ عن العين من جميع جهاتها ، ومنه الحجرة الحيطه بالجدير ، والجمع : الحجرات .

قال الأمير سيف الدين المشد وأجاد :

إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُونَ : فَهَدَّيْهَا شُرَفَاتِهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وَكَذَا مَحَاجِرُهَا : الْخَنَادِقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ

و (المائق) و (الموق) : هو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مخرج الدمع من العين ، ولعلَّ عين موقان ، وفي الموق وفي جمعه لغات كثيرة يقال : مَاقٌ - بالهمز ، وجمعه آماق ، وموق - غير مهموز ، وجمعه أمواق وأماق ومَاقٍ . والمقية - لغة في المائق أيضاً ، والجمع مَاقٍ . والمائق : مقدمها . وقيل : الموق مؤخر العين ، ومَاقٍ يُجْمَعُ عَلَى مَوَاقٍ مِثْلُ قَاضِي وَقَوَاضٍ . وفي الحديث : « كَانَ يَكْتَحِلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » . قال المتنبي يمدح كافور الأخشيدي :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَغْلَى السَّوَاقِيَا
فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)

و (الألحاظ) : جمع لحظ ، وهو مؤخر العين الذي يلي الصدغ وجمعها لحاظ ، ولواحظ . فأما اللحظة فهي النظرة وجمعها : لحظات في القليل ، واللحظ في الكثير ، ويجوز أن يجعل موضع اللحظة . يقال : لحظ العين - مثل رأى العين ويقال : لحظ السماء بطرفه يلحظ لحظاً فهو لاحظ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :
يا نظرةً قَدْ جَلَتْ لِي حُسْنَ طَلْعَتِهِ حَتَّى انْقَضَتْ وَأَدَامَتْنَا عَلَى وَجَلٍ
عَاتَبْتُ إِنْسَانَ عَيْنِي فِي تَسَرُّعِهِ فَقَالَ لِي : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ
(والطرف) : هو مآل بأحد السَّوَادَيْنِ : السَّوَادِ الْأَعْظَمُ ، وَالسَّوَادِ الْأَصْغَرُ . قال ابنُ مطرف :
« طَرَفُ الْعَيْنِ تَحْرُكُ أَشْفَارُهَا » ويقال : طَرَفَةُ عَيْنٍ ، وَالْعَيْنُ الْمَطْرُوفَةُ مِنْهُ مَأْخُودٌ ، وَهُوَ
أَنْ يُصِيبَ سَوَادُهَا شَيْءٌ فَيَتَأَذَّى صَاحِبُهَا بِهِ ، وَرَبَّمَا أَبْطَلَهَا . وَهِيَ « الطَّرْفَةُ » قال الشيخ
علاء الدين الوداعي :

كَمْ دِمَاءٌ مَطْلُوعَةٌ فِي هَوَاهُ وَبِهَا وَرْدٌ خَدِّهِ مَطْلُوعٌ
وَحَدِيثٌ مِنَ السَّقَامِ صَحِيحٌ قَدْ رَوَاهُ عَنْ طَرَفِهِ مَسْكُوعٌ
و (الْقَبْلُ) هُوَ مَيْلُ الْحَدَقَةِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَنْفِ . وَأُنْشِدَ الثَّمَالِي وَقَدْ اسْتَحْسَنَهُ
فِي « فقه اللغة » له - قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ :

أَشْهَى فِي الطِّفْلَةِ الْقَبْلَا لَا كَثِيرًا يَشْبَهُ الْحَوَلَا
وَقَالَ جَرِير :

وَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمِجُّ دِمَاءُهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجَلَةٍ (أَشْكَلُ)
وَقَوْلُ عَلَاءِ الدِّينِ الْبُديوي :

أَنَا جَدُّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنَّنِي يَا أَرْقَ الْعَيْنَيْنِ عَبْدُ (الْأَشْهَلِ)
وَأُنْشِدُنِي الْمَوْلَى أَبُو الْفَتْحِ عَمْدُ الرِّسَامِ الْأَزْهَرِي :

رَنْتَ رَمَتْ فَأَصَابَتْ قَلْبِي ، وَأَذَكْتَ لَهْيِي
فَهُوَ الْمَصَابُ بِمَيْنِ (شَهْلَاءِ) وَهِيَ الْمُصِيبَةُ
وَقَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ نَبَاتَةَ :

وَأَغْيَيْدُ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ يَمِجُّنِي كَأَنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى شَرَطِي
أَجْفَانُهُ السُّودُ مَا تُخْطِي إِذَا رَشَقَتْ سَهَامَهَا ، وَسَهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِي

وقال علاء الدين الوداعي :

رمتني سودُ عينيهِ
وما في ذاك من بدعٍ
فأصممتني ، ولم تبطِي
سِهَامُ الليل ما تخطِي

وقال شهاب الدين الزعفريني :

ملكك على العشاق ، سكران طرْفُهُ
شكوتُ إليه أسرَ قلبي في الهوى
فلا عجبٌ للَحْظِ منه يُمرِّدُ
فوقَّع لي : سحرُ الجفون يُخلدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحجي الوري
من سحر عينيكَ المهابة تعلمتُ
وبسحر عينيهِ النَّوَاسِ تُقبلُ
وكذلك الغزلانُ منها تغزلُ

وقال ابن عباد :

ونظرون من خللِ السُّتُورِ بأعينٍ
وله أيضاً :
مرضى يُخالِطُهَا السَّقَامُ صحاح
وسنانٌ قد خدع النَّعَاسُ جُفُونَهُ

مذ غصَّ طرفاً بالحياءِ فإنني
منه استحييت بأن أقبل مؤنسى
فحكى بعقلته ذبول النَّرجسِ

وقال النزَّي :

كأنما سوادُ عينٍ مُنيَتِي
لا تُنْكِرُوا مقاتلي تَجَاهِلًا
مع علمكم بأنَّها لوَّامةٌ
كمنبرٍ يا أنفَسَا لوَّامةٌ

وقال الشهاب بن القطان :

شاقني (مارسُ) فُولُ
وابتغى التعريضَ ، قلنا :
زهرُهُ حاكي عُيونك
لَعَنَ اللهُ قرونك

آفة النظر وغائلته

وكننت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذي لا كآله أنت قادر
ولأبي العباس الصيبي :

قم فاسقني بين خفق الداي والعود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفوني
ويا عيني لك البشرى فنامي
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتني لتروى الراح روحاً وحققت
على زجس حيّ به فكأنتها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدري وخفت العدا
فبالله نبليح ما ترتجي
وله أيضاً :

ينيب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطلع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الأطباء وصادني
تعدت لواحظه إلى بأسهم
ظي وعهدى بالطباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

— ١٠١ —

وله أيضا :

صبّ المداد وما تَعَمَّدَ صَبَّهُ فتورّد الخلد البديع الأزهرُ
يا من يؤثر حبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيئاً يستفيد به في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
فليَنظُرُنْ إلى ما فوقه أدباً وليَنظُرُنْ إلى من دونه مالا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رَمَقَ وقد أذابت هموم النفس أكثرها
وإنما سالت منها بقيّتها لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حلّ بي عجب عجب تقاصر وصفى عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه
وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن نبت عن ناظرِي فأنتم في القاب يا غاية التمتي
والظنّ أن لا تخون عهدي لا خيب الله فيك ظنّي

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان (١)

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هنداً بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر يغنى به . فلما فارقت زوجها الفاكه بن المنيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فسكران أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هنداً .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاءً ، وقد عشق هنداً وعشقتة ، فأنهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافراً قال في ذلك :

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حموتها رحي
وأصبحت كالمقهور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهماً

حكمة التعدد في الاسلام (٢)

إنه لمعلوم أن جميع كلام الدبوة مريح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يذكّر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات ،

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

(١) الأغاني ج ٨ .

ولا المسلمين إلا ومعهم المسلمات ، ولا الصّائمين إلا ومعهم الصّائمات . قال تعالى : « وَمَنْ يَمْعَلْ مِنَ الصّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّائِمِينَ وَالصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنّة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيقف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة غاب عنها زوجها حفظت غيبته في نفسها ، وطرحت زينتها ، وقيدت رجلها ، وأقامت الصلاة ؛ فإنّها تُحْشَرُ يوم القيامة عذراء طفلة ، فإن كان زوجها مؤمنًا فهو زوجها في الجنّة ، وإن لم يكن زوجها مؤمنًا زوجها الله من الشهداء » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلًا عن اتصافه بالفضل ، أن يضئع عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تمرّض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن ربّما يمنعنّ شيء آخر أشقّ عليهنّ من كلّ شيء ، وأضرّ . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنّه لا دخل لتمدّد الزوجيّة ولا لدين النصرانيّة في إحياء العلوم الأدبيّة ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيويّة ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كلّ ما علوه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدّد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدّد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متديّنين بدين النصرانيّة. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشرير وداغوير الأوّل ثلاث زوجات، ولعمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في آن واحد.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غرينور الثالث إلى الواعظ بدستقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّعها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤثّرها الضروريّة ».

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدّد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لم يميّز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعداء المعتادة للنساء في أوقات معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النّصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعيّة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من المفساد. فقد أتى زمن يمنّع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنّة ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مآظاهرة الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّ بشرف الإنسانيّة. فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزّوج منها خلاف ما كان يعمّده، على أنّه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجِد الهجر ضربها، بشرط ألا يضرّ بها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهن مذموماً ، وصير من عاقبن على كل ما فرط منهن ملوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احموا النساء على أخلاقهن » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي ، فإذا طُلب ما عنده وُجدَ رجلاً .

وقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ » قال : أن تُطعمَها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقبَّح ، ولا تهجر ، إلا في البيت . ومعنى لا تُقبَّح : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يعمم أمر النساء ويوجب رعايتهن والمبادرة إلى القيام بحقوقهن . وهل حرية النساء إلا أن يبلغن حقوقهن على أزواجهن ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهن من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبل العقل المنزه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهن وما اشتبهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهن وأهوائهن على عقولهن .

المرأة التي تزوج عليها زوجها

في « سبعة المرجان »^(١) أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأنني قد تزوج	ت فظلت تكاتم النيط سراً
ثم قالت لأختها ، ولأخرى	جزعاً : ليته تزوج عسراً
وأشارت إلى نساء لدينها	لا ترى دونهن للسراً سراً
مالقبي كأنه ليس مني	وعظاى أخال فيهن فترا

(١) سبعة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو رياش : كان الرجل إذا عُرف بحبِّ امرأة لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها (١)

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إِنَّكَ لجميل يا أبا صفْوَان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برنُسه ولا عموده . إِنَّ رداءه ألبياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا رُبْعَةٌ ، وبرنُسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولي : إِنَّكَ مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضى الله عنها - لتتنظر إليها ، فلمّا رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسّدك .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأول مرة : والله ما هو إلّا أن رأيته على باب حيجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - من التيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده . أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجاز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

(١) التبريزي على الحماسة ج ١ . (٢) في الروض الأنف .

وروى أن امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله . فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها من غيره .
وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها . وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك .
وقد أجازها مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .
وفي مسند البزار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي لا تشعر » .

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لعائشة - رضي الله عنها : أريتك في المنام يحيى بك الملك في سرقة من حرير ، فكشف عن وجهك ، فقال لي : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله يمضيه ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك في أنها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فمن هاهنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يخلو نظره عليه الصلاة والسلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بغير شك إمام المتقين وقدوة الورعين . وجورية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ . وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء (١)

وجهَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... عُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ والياً على البصرة، وقال له : يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهى حَوْمَةٌ من حَوَمَاتِ العدوِّ ، وأرجو أن يكفيك الله ما حوَّلَهَا ، ويعينك عليها . فإذا قَدِمَ عليك العدوُّ ، فاستشره ، وادعُ إلى الله ، فمن أجابك فأقبل منه ، ومن أبى فالجزيةُ ، وإلا فالسيفُ ، واتَّقِ الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كِبَرٍ ممَّا يُفْسِدُ عليك إِمْرَتَكَ ، وقد صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَمُرِّزْتَ به بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وقُوِّيتَ به بعد الضَّعْفِ ، حتى صرتَ أميراً مُسَلَّطاً ، وَمَلِكاً مُطَاعاً ، تقولُ فَيَسْمَعُ منك ، وتأمُرُ فَيَطَاعُ أَمْرُكَ ، فيالها من نعمة ، فاحتفظ من النعمة احتفاظك من العصية ، وَلِهِيَ أخوفُهما عندى عليك أن تستدرجَكَ وتخدعَكَ فتسقط سقطَةً تصيرُ بها إلى جهنَّمَ ، أعيذك بالله ونفسى من ذلك . إنَّ النَّاسَ أسرعوا إلى الله حتى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فأرادوها ، فأَرَادَ اللهُ ولا تُرِدِ الدُّنْيَا . واتَّقِ مصارعَ الظالمين . انطلق أنت ومن معك حتَّى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم ، فأقيموا . فسار عُتْبَةُ ومن معه ، وأقام بالبصرة ، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس ، فاقتتل الفريقان .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فكنا معهم ، فَاتَّخَذُوا مِنْ مُخْرَجِنَّ رَايَاتٍ ، وسرن إلى المسلمين ؛ فلما رأى المشركون الرايات ، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ قد أقبل ، فانهزموا ، وظفر بهم المسلمون !

كشف وجه المرأة في الإحرام

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعهن من المساجد .

وسئل عقيل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التغطية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم نبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالفض ليعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة ، كما جاء النهي عن القفازين ، وعن لبس القميص وال سراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المخرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافله بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كإحرام كإحرام الرأس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبطن الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مر بنا الركب كان سدكت إحدانا جلجلباً على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجمعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد.

ومن آثار الإنصاف وسلك سبيل العلم والعدل تبين له راجح المذاهب من مرجوحها،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة (٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة، والنعام تخفيها بريش ، ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بيمينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستماعة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت إ

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عمر لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بعدى والذي تضميرن يا أمَّ عَقْبَةٍ
تحفظين من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلقي وصُحْبَةٍ
أم تريدن ذا جلالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن غُرْبَةٍ

(١) في خزنة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فقالت له : والله لأجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظي منك . وأنشدته :

قد سمعت الذي تقول وما قد يا ابن عمي تخاف من أم عقيب
سوف أبكيك ماحيت بنوح ومراثٍ أقولها أو بندبه
فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر فارعى حتى لحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العم د فكوني إن مت عند الرجاء
ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث بعده قليلاً حتى خطبت من كل جانب ،
ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فقالت بحجة لهم :

سأحفظ غساناً على بُعد داره وزعاه حتى نلتقي يوم نخشع
وإني لني شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ماحيت بدمة تجول على الخدين تهمل فهمر

فلما تطاولت الأيام تناست عهده وقالت : من مات فقد فات .

فأجابت بعض خطابها فمقد عليها . فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها أتاها آت
في منامها فقال :

عقدت ولم ترعى لبعلي حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي العهد
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له بقاءً ولم تنجزى الوعد
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحد

فلما سمعت هذه الأبيات ، انتهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت ، وأنكر
ذلك من حضرها من نساءها ، فأنشدتهن الأبيات ، فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه ،
فتفلقتهن وأخذت مدية ، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها . فقالت امرأة منهن :

لله درك ماذا لقيت من غسان
قتلت نفسك حزناً يا خيرة النسوان

ومن آثار الإنصاف وسلك سبيل العلم والعدل تبين له راجح المذاهب من مرئوجيها،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفورة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة، والنعامة تخفيها بريش ، ولا تبديها للشمس والرياح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمغازلة - تقول : غالزنى المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها جدت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فترجعت إ

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بـدى والذي تضميرن يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلقي وصُحْبَةِ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن غُربَةٍ

(١) في خزنة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعامة غالبا .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيئُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَأَجْعَلَنَّ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :
 قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمِّ عَقْبَةَ
 سَوْفَ أَبْكِيكَ مَاحِيْتُ بَنُو حِمْيَرٍ وَمَرَاثٍ أَقُولُهَا أَوْ يَنْدَبُهُ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَائِقٌ بِكَ لَكِنْ احْتِيَاظًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
 بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَأْخِرُ مِنْ عَوْدِي شَرُّ فَارِعَى حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
 إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِيَ الْعَمَلُ دَفْعَ فِكْرِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
 ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانُهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُتْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبَتْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
 وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِحَبِيَّةٍ لَهُمْ :
 سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزَعَاهُ حَتَّى نَلْتَقَى يَوْمَ نُحْشَرُ
 وَإِنِّي لِنِي شَفْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَعْدَ مَاتَ يَمْدُرُ
 سَابِقِي عَلَيْهِ مَاحِيْتُ بِدُمْعَةٍ تَجُولُ عَلَى الْخَلْدَيْنِ تَهْمِي فَتَهْمُرُ
 فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مِنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأُجَابَتْ بَعْضُ خُطَابِهَا فَمَقَدَّ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولُ بِهَا أَتَاهَا آتٌ
 فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبُعْلِكَ حُرْمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْمَهْدَا
 وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَظًا لِمُصَاحِبِي حَلَفْتُ لَهُ بَقَاءًا وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا
 غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْيَحِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلُّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
 ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْآيَاتِ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثٍ لَيْسَ فِيهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
 فَتَنَفَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذَبَحَتْ نَفْسَهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لَلَّهِ دُرُّكَ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ
 قَتَلْتَ نَفْسَكَ حُزْنًا يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ

وفيت من بعد ما قد همت بالمصيان
وذو العالی غفوراً لسقطه الإنسان
إنّ الوفاء من الله لم يزل بمكان

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنا أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله خربة عائشة هذه قالت لمولاة عائشة يوماً : أريني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أجرد لها ولا تعلمها أني عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كلها تنفسل . وذهبت مولاتها إلى رملة خربت فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتأملت ما مقبل ومدربر ، وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أتي أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة ، دلالة على أنها لا تزوج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كلها ، واستظهري فإن عائشة بنت طلحة تحج معك ، فاستظهرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة فداجت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركب قد جاء فضنطها وفرق جماعتها ، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة !

القبلة وإباحتها (١)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولا خطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يحبون كِبَاءَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ . . . » والحديث الذي يقول : يارسول الله إنى لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّه فتت قلبي فهو مفتوت
لا تحش أنقاسي ولا حرها فإتما خدك يا قوت
ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألها رشف ريق مستعذب الطعم حاوي
قالت : فصفه ارتجلاً فقلت : بمد التروى
ولابن حجة :

وعاشق أزم معشوقه قبلة في فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحي لحظه خطفاً وقد باس ولم يخطفاه
ولابن العطار :

جمعت بالراح شلى فالله يجمع شملك
وكم يد لك عندي دعني أقبل رجلك

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سألته قبلةً بخدّ فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سألته قبلةً الذّ بها فصدّ عني وقال سروالك
فقلت : لم سيدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروط على الخلد » :

بروحى مشروط على الخلد أسمر وفادنا بعد التجنب والسخط
فقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فقبلته ألفاً على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه :

قبت مبسمه فقال تذللّا عند اللقاء له ونحن صيام
أفطرت يا هذا ، فقلت له : ابتدا الصوم مع رؤيا الهلال حرام

وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ثواك في مثوى الحبيب وداره

محاسن الخلق والخلق (١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أى عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجمله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتهم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مليح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره كالشمس عند طلوعها بل أشرق
لولا هوائك لما جفا جفنى الكرى ليلاً ، وبثٌ بدمع عيني أشرق
وفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى لاح به أثر الصبابة لا يئى
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضح
وقال له :

وجهه يفوق الهلال حسناً ويُنجلُ البدر إن تجلّى
يقول في الحال من رآه أشهد أن لا مليح إلا

وقال آخر :

أحبُّ من المردان كلَّ مهفهِ
رشيقي المثنى لم يسر في خدّه الشعْرُ
فأما إذا ما الشعْرُ في خدّه بدا
فلا خير في اللذات من دونها السّترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح
ثمّ لاموا من افتتن
لو أرادوا جنايتي
حجبوا وجهك الحسن

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبت له روحى فعذبها
ورمتُ تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقيّة نفس فيك قد بلغت
قبل الماتِ فهذا آخر الرّمق
ولا بن الخطيب في « الحسن » :

الذرُّ فوق جبينه يتوقّد
والماء في وجناته يتردّد
كتب الهوى بيد إليه يؤكّد
بالحسن فوق جبينه يا واحد
وله أيضاً :

جفون معذبى يملأه
مئى وإن وداده تكليفُ
لكننى لم أذا عنه لأنه
خبرٌ رواه الجفن وهو ضعيفُ
ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بي سقام من جنون
قد جفونى لست أبرأ
وعيون فأتكات
من سيوف الهند أبرأ

ولآخر :

كأنّ مقاتله صاد ، وحاجبه
نون وموضع تقبيلاته ميم
فصرت أعبد منه في الهوى صنماً
وعابد الصنم الإنسى مخدوم

ولآخر - في العيون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر
دعج تدبه إنّ فهمك راقد
أين القياس لمن يصحّ قياسه
بين العيون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظلُّي إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدّت سوافها
وإن كان جبل الجفا سودّ معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتهي بحبيبي ألف ناقة سود
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود
وفي من عينه زرقاء :

بمينه الزرقاء
واعجباً أحبه
في قلبي سهم مطلق
وهو المدوّ الأزرق

وفي أحول :

قالوا شُنت بأحول فأجبتهم
لاتحسبوا حولانه . . لكنّه

وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً

وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بعدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني

وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
فهل تأذن لطيف منك بطرقه
كما بد النار يهواها وتحرقه

يمشي بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثنرى إنه
يازيد خذ منه الحديث فإنه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفي حابر في جماله
وعرينه أقمي أتمم وطرفه
وفي لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - في كلام معذبي
إن الذي ينسى الكلام لسانه
فأجبتهم والعذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو عاينت عينك حسن معذبي
عين الرشا ، قد القفا ، ردف النقا
مالتني ولكنت أول من عذر
شعر الدجى ، شمس الضحى ، وجه القمر

ولابن مبارك :

يا أيها العشاق قد جاءكم
أجيد إتلاف روح امري
وقال آخر - في من بيده مديّة :

وشادن في يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها
جردها للفتك من غمدها
فلبظه أقطع من حدّها

ولأبي نواس - في أحور ساحر العيّن :

وبلى على أحور ممكور
تختاره الحور علينا كما
وساحر العيّن مسحور
نختاره نحن على الحور

وفي من يبكي ! :

يا قرأ أبصرت في مائمه
لا تبك للميت ياسيدي
يندب شجوا بين أبواب
وابك قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرآة :

وإذا أراد بأن ينزّه طرفه أخذ المرآة بكفه فتفرّجاً
فكأنه وكأنها في كفه شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة يا من له وجه كبدر الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر بكم تباع القوس للمشتري ؟

وللازميرى في رام :

بأبى وأمى رامياً يسبى الحشا لما أراد إطلاق سهم رامياً
بلواحظ تسطو على العشاق زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رمى عن قوسه فى الطير سهماً على عجل ولم يعلم رؤيدا
وفوق نحو قلبى سهم طرف فلم يخطئ بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه كأن من أبدع فى خلقه
مستخرج فى الرمل أشكاله يزدهم الناس على رمله
قد خلق العشاق من أجله وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردى فى ذلك :

حكى القضيب والقنا وقال وصلى غفلة
بالرمل والأنايل إلا بفيض داخل

وقال فى منجم :

ورب منجم قد صدّ عني فقلت عساك ترجع عن قريب
ولى أبداً بطلعته ولوع فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن المزيّن في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم تسائر
قال على ما اقتتلوا هكذا قلت على عينيك ياتاجر
ولأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمدح عشاقه مالا ووصلاً ليري نادره
ما ردّ يوماً منها زائراً لأنه متّسع الدايه
وله في شاعر :

لا تمدّوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرّ يا رفاقي
فهو البديع حسنه لكنّه يميل للتصريح في الطباقي
ولآخر في الخدّة :

بدّا في الخدّ عارضه فأضحى عليه مفيض بالوم يُنري
وحاول أن يرى مني سُلوّاً فقال : لقد تمذّر . قلت : صبري
ولآخر ... اقتباس - في من في خدّه عذار :

رأيتُ في خدّه عذاراً خلعت في حبّه عذارى
قد كتّبت الحسنُ فيه سطرّاً ويوجّ الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمّه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فأشف السقام الذي في جفن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن - وقد تمّعت معاني وجهك الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى وعما الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلة ونفاق
كتب الزمان بخطه في خدّه هذا جزاء معذب المشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشَّعر أبيض وجهه
على وجهه أضحى بخطى عذاره
فأصبح من بعد التَّشعُّم في ضَنكِ
تناديهما عيناها حزناً : قفانَبكِ
ولآخر ... اقتباس :

قتل النَّاسَ باللَّواحظ حتَّى
طلعت ذقنه وعيناها كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجمالاً
وكفى الله المؤمنين القتالاً
وأخر .. مثله :

لما بدا في خدّه عارضٌ
وقلت غداً عارض ممطرٌ
بشَّرتُ قلبي بالسَّلوِّ المقيمِ
فجاءني منه عذابٌ أليمٌ
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
وأباد السوادُ ضوءَ نهاري
كلَّ من ماتَ سوَّداً باب داري
ولابن نباتة :

وأمرؤٌ مقتَه ربهُ
أرسله الله لنا آية
بدَّله بعض الضياءِ بالظلمِ
ليعلموا كيف زوال النِّعمِ
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجهي
حتَّى غداً وهو حابر
دارت عليه الدَّوارُ
وقال آخر :

وخلَّصني من يدي عشقه
كنست فؤادي من حسنه
ظلام على خدّه حنَّسَه
ولحيته كانت الكنَّسَه
وقال آخر . والله درِّ قائله :

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بمعاد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالخدود

ما قيل في الأسماء (١)

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أني قتيل عيونك الشجر
فقت الملاح فأنت خاتمها وكذا سميت خاتم الرسل
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو تثبتت كان أجود
فأجبت إني مسلم أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العفيف :

أيها المودع قلبي نار وجد تنوقد
كيف تستأهل ناراً مهجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يعد يرضى لمشاقه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولهب الشوق أحمد
فأنا في كل حال أشكر الله وأحمد
آخر ولله درقائله :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظني بها ناري التي لا تحمد
قالوا فمن شئت تحب؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تعشقت ظلياً فاتن اللحظ فاتراً أبو بكر يدعى خليفة طلعة البدر
فلا تنكروا وجدى فأني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهيجتى
له طامة كالبدر والنصن قدّه
وللحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له
ولا بدع إذ بالفت فى مدحه إذا
ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

من حبيبي ووفاء
ولا عجيبياً من أبى
وعداً له وحققه
بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم فى الهوى إذ نظروا
أبدلوا قافلك عيناً غلطاً
حين سموك وقالوا : عمر
أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلى بشمعتين ووجهه
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى
بضياؤه يزهو على القمرين
فأجابنى عثمان ذو النورين

لنز فى عثمان :

يا أيها العارف فى فنّه
ما قولكم فى أحرف خمسة
ومدعى الفهم وعلم البيان
إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى على :

قال المذول مذ رأى
بمن فتنت فى الورى ؟
قلبي به فى شغل
فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى
وإذا ما غاب عنى شخصه
وبه قلبي المعنى قد بلى
صاح قلبي وحشة بالعل

ولابن حنبل الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لي من دوا قد غدا قلبي عليلاً
قالوا سلوى كل حبٍّ قلت إلا عن علي لا

وللعجّازي في عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوي شرح حالي أغنى عن التمييز
في هواه حقاً لقد طاب ذلي حيث أصبحت عبد عبد العزيز
وللا زهرى في عبد القادر :

حبّي عبد القادر الذي له بهجة حسن والورى عبيده
وكيف لا أريده بين الورى والله يدرى أننى أريده
لنر في عبد الله :

اسم من أهواه ياسيّدى فيه من المنبر حرفان
وأخو الورد تمام اسمه وواحد ليس له ثنان
وفي عبد القوى :

عبد القوى سباني بقده السمريّ
وصرت عبداً ضعيفاً في حبّ عبد القوى
وفي عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذي فطانت أسكنته الفؤاد
ولا عجب إن بدا لطفه فعبد اللطيف لطيف العباد
وفي عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى قد أنجح الله قصده
لا تخشى من ضياع فالله يحفظ عبده
وفي محمود :

يقول لي منكر حالي به من لك في ذا الحى مقصود
فقلت لا تسل بحقّ الهوى عنه فقصدي فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجي إلى زمن يسبنى فيه كلب وهو محمود
وفى إبراهيم :

عجبت لنار قلبي كيف تبقى حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوني سلاماً وبرداً إن إبراهيم فيه
وفيه أيضاً :

لا زال بابك للسكرام كعبة فُتري بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأمرهم هذا المقام وأنت إبراهيم
ولابن نباتة في خليل :

يفيب خليل الحسن عنى ليلة وكيف يطيب العيش عندى والكرى
ولعز الدين الموصلى :

قال حبى خليل غيّرت ودى وتركت الفؤاد مئى عليلاً
بعد عشق الملاح صرت تقيّاً ما تراعى من الأنام خليلاً
وقال فى يعقوب :

يعقوب إننى يوسف قد تركتني من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفاً
وأصبحتُ غُذولاً وقد كنت ناصراً وكنت ملكاً صرت عبداً مكلفاً
ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لاثماً بمسك الشافى آلامى
يوسف انبيثا بتأويله فقال هى أضعت أحلامى
لنرفيه . . وأجاد :

يا سائلى عن اسم من أحببته إننى بمن أهواه غير مصرح
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى معكوس سابع كلمة فى « سبّح »

وفي موسى :

رأيت في حلق غزالا تحير في وصفه الميون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تخلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ أحشاؤه قد أحرقت نهاكا
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى وتميت أنت الحيّ حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب إذا داود لأنّ له الحديد

وفيه أيضا :

أمسى يقزّ بحسنه بدر الدجى وغدا يذوب بحسنه الجمود
فإذا بدا فكأنّما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة يكاد بها ماء الشبية ينهل
فهذا سليمان لركة خده إذا دبّ فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مهفّف طمعته ليس بها مناظره وقدّه غصن نضر
يجرى لنا ماء الحياة ولثّره لا تمجّبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرّم على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجدى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهزّ معاطفاً أبدت حلاوة خصره مع ردفه
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة شعبان كلّ حلاوة في نصفه

علي بن سودون - في بركات :

رشاً يعصيد الأسد في اللغات
الوجه منه مبارك فإذا بدا
ابن القيصراني في منصور :

يا قمر الوصل في جنة
كم حاربتك الشمس في حسنها
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنعني
حتى رماني في نيران مهجته
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
فاطرح نصحي ودعني
وله في سعيد :

سموا مني مهجتي سعيداً
إذا اجتمعنا يقول صدرى
وله في قاسم :

شكوت له حالي وفرط صبابتي
وقال استعصر صبري وكن متأسياً
ابن العطار في يحيى :

تكابد في هواه عليه أشياء
ويرضى أن أموت بحب يحيى
وله في هاشم :

في هاشم قلبي بدا دايباً
وكسر قلبي صح في عشقه
من لحظه الفاتك بالعالم
لقلة الإنصاف في هاشم

وله في عامر :

حببي يدعى في الأناضال بعامر
يهتد قلبي بالسدود وبالبحر
وأول عشق ليس لي فيه آخر
على أن فيه منزل الشوق عامر

وله في فرج :

وليس لي مخلص أرجو النجاة به
لكن أضمن بيت القائل بن رجا
من الغامر فقد ضاقت بي الحجة
كلّ الأمور وإن ضاقت لها فرج

آخر :

يا لائمي في رشيقي القدر ممتد
أشكو الشدائد من وجد أكابده
انظر فإن غرامي غير ذي عوج
ولست أياس في شكواي من فرج
للحجاج في أمير حاج :

مننت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج
لك الرحمن بالحسنى يجازي
فلا بدع بحبك للحجج
ولابن نباتة في عماد :

قالوا العاد مليح
بحسنه قلت قصدي
أسبي جميع العباد
أنظر لذات العاد

لعزّ الدين الموصلي في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدته فامتلا فؤادي شحماً
فاق حسناً ولم أعره شهاده
لا تقولوا بأن صيدى جراده

لابن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطعه كبيراً قلت من
طول الزمان عليه في وسواس
راحت قلب المرء قطع إلياس

لنفر في إسماعيل :

اسم من قد هويت ستّ حروف
عيل صبرى تمام اسم حبيبي
نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على الماين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الجسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى على الحسن
وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
رمانى بسهم اللحظ قلت له اتشد
وفي بدر :

سموه بدرآ وذاك لما
وأجمع الناس إذ رأوه
وفي كمال الدين :

ديني تكمل مذ جُعلتم قبلي
وغدوت أنشد في البرية كلها
وفي عز الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقة حسنت حالتي
وفي تاج الدين :

بيابك تاج الدين قد جئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدي
جراهر لفظ لم ينلني تاجر
وفي التاج أبهى ما يكون الجواهر

الشماب الصائم، في محبّ الدين :

في ملاح لك شتى
كم ليالٍ مع غزال
ضعف القاب وشتا
يا محبّ الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

السيادة	يرجون	شرف الدين	لقبوه
وزيادة	وهو شر	منه خير	كيف يرجى

في زيتون يهجو فيه :

لو أنصفوا سموك	زعرورا	سموك زيتونا	فما أنصفوا
وأنت لا زيت ولا نورا		لأن للزيتون زيت يضي	

في بونس :

حكي البدر وجهها قلت بل هو أملس	وقالوا حبيب القلب بدره وقده.
ولو لم يكن بدرأ لما كان يونس	فلو لم يكن غصنا لما كان مائلا

آخر، وأجاد:

له مقلة سوداء والحدّ أطلس	شنت بفتان اللواظ أهيف
فيوحشني والحب في القلب يونس	فإن غاب عن عيني تصورت شخصه

في مقبل :

ما زال عنه كل يوم يسأل	يامن تحجب عن حبّ صادق
ويقال لي هذا حبيبك مقبل	من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

خطف القلوب وبالألحاظ شاهينا	يامن تسمي بشاهين وسيمته
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا	قد اشتبهناك بالشاهين لا نقسا

في عنبر :

وعرف رياه قد تعطر	مذ رأي عنبر حبيبي
وشاقي من شذاه عنبر	أرشفني من لاه خمرأ

في بشير :

وجا كبدر منير	بشير سبا مهجتي
ولاواصل وافي بشير	وقد جاد لي بالرضا

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحب سنبل
وقد فاق ريتاً نشره كلّ مندل
أهذا شذا مسك تضوع نشره
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
ووجهه حفّ من سنا النور
شاهدت من خاله بوجنته
نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زائراً
وقد بت بالصباة ماسوراً
فقات لهم قد زال همى بوصله
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فديت ريحان صبا بالجو
وبعد قلبي شفه الأشجان
لما رنا بلحاظه من نرجس
وبدا بعارض خدّه ريحان

في صبيح ، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
وصير الدمع بخدّ يسبح
فكيف لي بالصبر عن حبه
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عذولي
أطلت فيه مقالك
لو زارني كنت أحظى
منه بكعب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
عساك بالوصل منه تبهج
وربما تبلغ المراد وكم
قد جاء عند الضيق الفرج

وما قيل في المهن والحرف

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدأ وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخانق :

تسلطن في الملاح بخانق ولم يرض بيدر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جنداً وأصبح موكباً تحت العصايب

في حباك :

يا مليحاً مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنمته قات هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحاجم في الكاس أجرى دماً من ساق ساقينا ياشفاق
لكنّه خالف في شرطه فحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری يبيع الحسن لكن شبيه النصن والبدر النير
كسى جسمی السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحریری

وما أحسن من قال ما ينسج على تكّة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفقح إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تعشّقت حداداً بديع ملاحه له طاعة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالتطريق وصلّاً بقربه أراه ستر الغيظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته
والدمع سكب وأحشأى تقويضه
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى
سهم عيني مسير
والصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصبى الحلاوى أضجى
لا تمارضه فى هواه بشكوى
فى حوايجى :

حوايجى أتيت أسأله
فى عنقى دمل به ورم
لابن الوردى، فى خياط :

لما أتى والمتص فى يده . . .
فقال وسلاً يعوز قلت له
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكى البدر ظلمة
بقدر ويفرى الثوب ثم يخيطه
وللازميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سألته
وإن شكوت غمى ردفه
فى ذهبي :

عشقتة ذهبي اللون ظلمته
إن مات طمناً إليه ليس ذا عجب
أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للعطاب
ألم ترى على شغفي أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبسدي عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدي إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبر الدجى وثغره كالدرّ إذا تبسم
قلت له سلني ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كلّ ثوب يا بغيّة النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفي ما فرق المهجر من فؤادى
وللصفدي فيه أيضاً :

ورفاً له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تحفي
شغلت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يعد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارني وبكاس فيه لما سقاني
لما نظرت إلى شقايق خده سبب الفؤاد عذاره الريحان

وللصفدي في سكري :

سبتني صفات السكرى الذي له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سنينات مبسم وأحمر خدّ في نبات عذارٍ

ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفنى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبّاك :

سبّاك تبر وفضة صنّعه
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :
فتنت به سروجياً بديعاً
إذا جذب الغرام له عناني
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
وللأزميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزالل رضا به
يروي المبرد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحماة، في شرابي :
سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جر لا لهيب
مواليا في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتّشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتّى أقبل فاه كلما نفخا

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكي النفس في حركاته أصير روحى فى هواه سبيلاً
عجباً له يرى السقام بلطفه وبطرفه يدعى السقام عليلاً

وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه قرأ له قر السماء رقيق
وجناته ماء ولكن قلبه حجر وأما خصره فدقيق

وله أيضاً في عطار :

قلت لعطار به صبوتى محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غراى به ذبت ومن فيك برانى الشراب

وفي مليح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً وجدت بجانبه ظبياً رمانى
فقلت له أعندك ماء ورد ؟ فقال : نعم ، وعندى ما لسانى

ولابن الفرس ، وأجاد ، في عوام :

يا حسن عوام كنفسن النقا ييخل بالوصل لمن هاما
ويقتع العشاق منه بأن يريهم الأرداف إن عاما

وقال آخر ، وأجاد ، في فاخران :

سباني فاخران بديع حسن رمى فى القلب بالبحران جره
فهمت من النرام له بحب وقصدى منه أن أحظى بجره

وفي قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى بقبانٍ ودمع العين سايلى
فدلّ بحسنه تيهاً ونادى إشارات المحب لها دلايلى

والسيد محمد رضوان الرعاد - في قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجزئنى بالصد والهجر أنواعاً من القصص
إن تحسن القص ينام فقلته أيضاً تقص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

من بايع الكتان من ربط
سرحه لكن على المشط
ولا بن الوردى - في كفتى :

لا أرى من محبة لي مخرجاً
قرأ طرز بالبدر الدجى
لي كفتى سباني حسنه
مذ تبدى في حديد فحكي
ولا بن العفيف - في كوانى :

قد أظهرا . لوعتى ولبى
قالوا كوانى فقلت قلبى
اسم حبلى وما يعانى
قالوا على فقلت قدر
وقال آخر ، في ملىح مكحول :

يا أيها الرشأ المكحول ناظره
إنّ انماسك في التيار حقق أن
بالسحر حسبك قد أحرقت أحشائى
الشمس تغرب في عين من الماء
ولا بن الوردى ، في مزين :

بأبى شادى تملك روحى
مسك الكلبتين قلت عجيب
بجبن وتحمه مقلتان
من غزال بكفه كلبتان
ولأبى الفضل بن أبى الوفا ، في مجبر :

أحبت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبى كسير بالجوى
حسن الثمائل شبه ظلى أحورى
فاسمح وكن بالوصل مفك مجبرى
ولا بن الوردى ، في مهميزى :

صاح هذا المهميزى عارضه
وجد بالوصل لي يوماً رفسى على
بالحسن أصبح أرقم وتطريزى
أكباد من لام فيه بالمهميزى
ولآخر - لبائع الفخار :

بائع الفخار بدر
ما الذى تبغيه منى
قال للعاشق جهره
قال قصدى ألف جره

وفي ملالي :

ملالي المراق نوى حجازا به المشاق وجداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجيبهم بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقال ابن عربي ، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب واهجره دائماً ألّمّ تره بعد الملاحه ينتف
أينتف من أجلى ويتعب نفسه وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردي ، في نطاق :

هويت نطاقاً إذا جيتته بادرنى باللاحظ والصنع
أروم أن أحظى بوصله وقد قابلي بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، في وراق :

يا حسن وراق أرى خده قد راق في التقبيل عندي ورق
تميس في الدكان أعطافه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فكنت بحسن وراق تقور بقلب الصبّ نار البحر أصلاً
صقيل الوجه كم ذرح لديه وبغضب إن طلبنا منه وصلاً
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزلته برضى النرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل إن مات نحو السكوكب الوقاد
وللصندى ، في قطان :

قطاننا	مهف	تعتله	أردافه
ناديت من وجدى به	ياليتنى	ندافه	

وله في بيع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشفينى
لما نظرت إلى رياض خدوده سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله ، في بيع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خدّه
لما دنا ونظرت روض جماله
ورد وآس عذاره كالسندس
نزهت طرفي في عيون النرجس

وله ، في بيع بنفسج :

سما بنفسجنا
لما بدا في خدّه
بحسفه قلبي الشجي
عذاره البنفسجي

وله ، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه
غلبني بحسن جبينه الوضاح
هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله ، في بيع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقني
حيّا بكاس الراس مع القرنفل
بفنج طرف بابل أكل
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله ، في بيع الورد :

لله ورد نبا البديع سنا
لما تأملت روض وجنته
وما جرى في الثغر من شهيد
تيم قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :
هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء . . .
ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتتمطرّ ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة النظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا بيده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلّا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلّا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلّا وضاع ، ولا استؤمننّ على سرّ إلّا
ذاع ، ولا أطقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقليل له :

كيف تدمّهنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلّا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنى . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفت الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرون العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرات : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌ يجنى شرّاً . . ورأى رأس امرأة على شجرة فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت مجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يمرض ، وقد زين داره وزوّقها وكتب على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » . فقالت له : « فامرأتك من أين تدخل ؟ » .

وتسكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ، إذا فرغ لكن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربهن ، فقال لأصحابه : كففوا عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكنن ناحية منهن ، فتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها ف قضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ويبس لثلاً يمنعها الطمن بالرمح ، وتركته الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن صحتها ، ولكن لابد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضي الله عنه : عودوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجزيهن على الألسنة .
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن »
وقال علي - رضي الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يا بني ومشاورة النساء ، فإن
رأيهن إلى الأفن ، وعزمهن إلى الوهن . واكفف عليهن من أنصارهن بحجبك إياهن ،
وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تطل الجاوس معهن فيهلكنك وتماهن ، واستبق
من نفسك بقية .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تسكمل من النساء
إلا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران » .
وخطاب النبي عليه صاوات الله وسلامه - نسوة فقال لهن : « إن كنن إذا جعتن دقعتن ،
وإذا شبعتن أثيرتن » . وفي بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ (أثيرتن : حجلتن) .
ومعنى (دقعتن : خضعتن ولصقتن بالدقما ، وهي غبرة التراب ، ويقال - فقر مدقع ،
أى ماصق بالدقما . وقالوا : رماه الله بالدقمة ، وهي الفقر والذل ، وجوع ديقوع - أى :
شديد .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام - في النساء : « ما تركت بمدى فتنة أضرت على
الرجال من النساء » . وفي الشهاب : النساء حبايل الشيطان . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله :
ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
وقد ذهب بصره : ما شيء أخوف عندي من النساء . وقال بعضهم في هذا المعنى :

أضرت شيء على الإنسان شهوته	تلك التي أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمرو الله أدخله	في أن يكابد هم الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كل بشوته ، فاعط ، أو .. يعيد
فاضطاره الحال أن يسمى ليرضيه	فظل من بلد يسرى إلى بلد
كانه حجير يرى به نزيق	من هاهنا لهنا ، أو من يد ليد
ما هم الدهر إلا ما يؤلفه	وما يجمعه من جيد وردى

وما يبالي حراماً منه ذاك أتى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أَمْسى يُفَرِّقُهَا فِيهِمْ وَنَيْتُهُ
وَرُبَّمَا أَسْخَطَ الْمَسْكِينُ خَالِقَهُ
الْفَرَضُ ضَيْعَهُ ، وَالدِّينُ أَثْلَفُهُ
وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْفَسَادِ ، فَلَا
يَسْلُبُ لُبَّ ذَوِي الْعَقْلِ الرَّصِينِ ، كَمَا
يَارُبُّ شَهْوَةٍ وَقَدْ أَوْرَثَتْ غَضَبًا
قَدْ كَانَ فِي شُغْلٍ عَنْهُمْ قَاطِبَةً
لَكِنَّهُ عَمِيَتْ عَنْ ذَلِكَ مُقْلَتُهُ

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وَقَالُوا : تَزَوَّجْ فَنُعِمَ الْفَتَاةُ
وَلَوْ أَسْتَطِيعُ لَعَلَّقْتُ نَفْسِي
أَشْقَى بِهَا دُونَ مَا ضَرَّةٍ
وَمَا تَقْنَعُ الْعَرَسُ شَيْئًا بِشَيْءٍ
فَنَفْسِي أَوْلَى بِنَفْسِي ، وَدَعَّ

عَرَضْنَا عَلَيْكَ تَنْلُ خَيْرَهَا
فَكَيْفَ أَضِيفُ لَهَا غَيْرَهَا
وَأَمْنٌ مِنْ ضَرَّةٍ ضَرَّهَا
سِوَى أَنْ تَصِيرَنِي غَيْرَهَا
سِوَاهَا تَسِرُ وَتَصِلُ سَيْرَهَا

بنات الأربعين من الرزايا

أُشْدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ ، قَالَ : أُنْشَدَنِي لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

مَطِيَّاتُ السَّرُورِ بَنَاتُ عَشْرِ
فِي بَابِ جَاوِزَتِهِنَّ فَسِرَ قَلِيلًا
مُقَامَاةُ النِّسَاءِ مَعَ اللَّيَالِي
إِذَا أَوْلَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

إِلَى عَشْرِينَ ، ثُمَّ قِفِ الْمَطَايَا
بَنَاتُ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الرِّزَايَا
أُولَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع «عُتْبَة» جارية المهدي، تدُلُّ على كمالِ ظرفه؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال:

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر «عتبة» - لأول دخوله بغداد، ولم ينل منها شيئاً، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق، فدُلَّ على شيخ صائغ، فجاء إليه فقال: إنِّي قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة... يعني «عُتْبَة».

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق، وجاء إلى «عتبة» فقال لها: إنَّ الله قد ساق إليك أجراً، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك. فقالت: هاتوه. فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زي الراهب - فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قطع الزنار، ومال على يديها فقبَّلها.

فلما فعل ذلك، رفعت البرُّس عن وجهه، فمرَّتْهُ وقالت: نَحْرُوه، لعنه الله! فقالوا لها: لا تلعنيه فقد أسلم. فقالت: إنما فعلت ذلك لَقَدَرِهِ. فعرضوا عليه كسوة، فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردتُ أن أشرِّفَ بولائها، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بحضوركم.

وجلس أبو العتاهية، فجعلوا يعلِّمونه (الحمد) وصلى معهم العصر، وهو في ذاك ينظر إليها، لا تقدر له على حيلة!

وحدث المبرِّدُ: أن «رَيْطَةَ» بنت أبي العباس السفّاح، وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للعتق، وأمرت جاريتهَا (عُتْبَةَ) - وكانت لها ثم صحبت «الخيزران» بمدّها - أن تحضر ذلك. فإنَّها لجالسة إذ جاء «أبو العتاهية» في زي متنسِّك فقال لها:

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراً
وعتق ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبد الله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ،
ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليغاً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية :
أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف .
فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدريين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ،
وإنما احتال عليك حتى قبّل يدك !

بين الحبّ والمال

وكان أبو العتاهية قد قصد بنداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمرائها ،
ولم يكن لهم في بنداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكّرون فيجلسون
بالمسجد الذي يباب الجسر ، في كلّ غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان .
فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه .
ثم مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه
(عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناس بعشق
أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بمال على أن يدعّا التعرّض
للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلاه كانا عاشقين .

فلما كان الغد ، مرّت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبهمهم ،
فمضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جلست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ،
وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأنّيتك ، فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير
المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو المتاهية : فافعل ، بأبي أنت وأمي ، فإنك إن سفكت دمي أرحمتني . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب . !
فقالت له : أبقى على نفسك ، وخذ هذه الخمسمائة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولّى هارباً ، فقالت : رُدّوه ، وألحّت عليه فيها . فقال لها : جُعِلْتُ فداك ، ما أصنع بعرّض زائل من الدنيا وأنا لا أراك . . . والله إنك لتبطلين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رحبت . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تالح عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفيني

ومن العطف ما قاله أبو المتاهية في (عتبة) قوله :

بالله يا خُلوة العيين زوريني قبل المات ، وإلا . . فاستزيريني !
هذان أمران ، فاختاري أحبهما إليك ، أو . . لا . فداعى الموت يدعوني
إن شئت موتاً ، فأنّت الدهر مالكة روحي ، وإن شئت أن أحيأ ، فأخييني
يا (عُتْب) ما أنت إلا بدعة خلقت من غير طين ، وخلق الناس من طين
إني لأعجب من حبّ يقرّبني ممّا يباعدني عنه ، ويقصيني
لو كان ينصفني ممّا كلّفت به إذن . . رضيت ، وكان النصف يرضيني
يا أهل ودّي . . إني قد لطفت بكم في الحبّ - جهدي - ولكن لا تبالوني
الحمد لله ، قد كنّا نظنّكمو من أرحم الناس - طراً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو أطعمتني في قليل كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عُتْب) يا قرّ الصّافه ويا ذات الملاحه والنظافه
رزقت مودتي ، ورزقت عطفي ولم أرزق - فديتك - منك رافه
وصرت من الهوى ذليلاً سقيماً صريماً كالصرير من الشلافه
أظلل إذا رأيتك مستكيناً كأنك قد بُعثت على آفه

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمد ، ولم يدري ما بي
فتنفست ، ثم قلت : نعم ، حباً
لو تجسّين يا (عُتْبَة) قلبي
قد لعمري ملّ الطيّب وملّ الـ
كيتني مت فاسترخت ، فإني
أُحبّ الغداة (عُتْبَة) حقاً ؟
جرى في العروق ، عرقاً فعرقاً
لوجدت الفؤاد قرحاً . تفقاً
أهل مئى ، ممّا أفايسى وألقى
أبدأ - ما حيت - منه ملقى

وفيه يقول :

(عُتْبَة) ما للخيال
لا أراه . . . أتاني
لو . . . رأني صديقي
أو . . . يراني عدوي
خبّيني . ومالي ؟
زائراً . . . مُدّ ليالٍ
رق لي ، أو رثي لي
لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَة) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجابت جهّزها له وأعطاه مالاً عظيماً . ثم إن الرشيد سنج له شغل استمر به ،
فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسّم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تنسّمت الرياح لحاجتي . فإذا لها من راحتك شيم
فقال الرشيد : أحسن الخبيث . إذن . . . على الثانية . وكان مكتوباً عليها :
أعلقت نفسي من رجائك ماله عنق يحث إليك بي ، ورسم
فقال الرشيد : على الثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولرّبما استيأست ، ثم أقول : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبمض إلى (عُتْبَةَ) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذٌ فيّ .. فيها خلا أمر أبي العتاهية ، فأتى حلفت لأبيك رضى الله عنه — بكل يمين يحلف بها برٌّ وفاجر . وبالمشى إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما اقتضت عنى حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفتت شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلى فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسروور وحسين ورشيد وغيرهم يهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لا أدري أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئست منها إذ ردّتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بعدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وتزهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :

قطعت منك حبايل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حلّ وعن ترّحالي

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول الفزل

إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إني لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصدّ واللّلات
منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي !
هيّمتني حبها ، وصيرني أهدوءة في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عُتْبَةٍ ،
يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى؟! .. فانتبهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى
من قول النزل .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلَعِي

الحبّة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب ^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ،
واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه . ولا يزال يضطرب
شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ،
وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجبٍ أتى أحنُّ إليهمُ وأسألُ عنهمُ مَنْ لقيتُ وهمُ معي
وتطلبهم عيني وهمُ في سوادِها ويشتاقهم قلبي وهمُ بين أضلعي

يرى الفؤاد الروحين يمتزجان

وقال ابن الرومي :

أعانقُها والنفسُ بعدُ مشوّقةٌ إليها . وهل بعدَ العناقِ تدانِ ؟
والأشيمُ فاها كي تزولَ صباقتي فيشتدُّ ما عندِي من الخفقانِ
ولم يكُ مقدارُ الذی بی من الجوى ليشفيهُ ما ترشف الشفتانِ
كأنّ فؤادی ليس يشقى غليلهُ سوى أن يرى الروحين يمتزجانِ

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرفني

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد ممت رجل نحوها ... فوطئتهما
لئن ساءني أن نلتني بمساءة
لقد سرفني أني خطرت ببالك
رضاً لك أو مدني لنا من وصالك
هدى منك لي، أو.. ضلة من ضلالك

العشق عفة ونزاهة

قال الشاعر :

إذا كان حظ المرء ممن يحبّه
حديث كماء المزن بين فصوله
ولم فم عذب اللثات، كأنما
وما العشق إلا عفة ونزاهة
وإني لأستحي الحبيب من التي
تريب، وأدعى للجميل فأجل
حراماً، فخطي ما يجل ويحمل
عتاب به حسن الحديث يفصل
جناهن شهد فت فيه القرنفل
وأنس قلوب أنسهن التفرؤل

الطرف رسول رائد للقلب

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة ، فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :
وكنتم متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً ، أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر
عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال الفرزدق :

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ فَوَادًا وَلَمْ يَشْمُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا بِنِيرِ سِلَاحٍ مِثْلِهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُؤْتِي مِنْ عَدُوٍّ وَجَاسِدٍ فَأُتِيَ مِنْ عَيْنِي أُتَيْتُ وَمِنْ قَلْبِي
هَما اعتَوَرَانِي : نَظْرَةً ثُمَّ فَكْرَةً فَمَا أَبْقِيَا لِي مِنْ رَقَادٍ وَلَا لَبٍّ

وقال ابن المعتز :

مَتَيْتُهُمْ يَرْقَى نَجْمُومَ الدُّجَى يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
عَيْنِي أَشَاطَتْ بِدَمِي فِي الْهَوَى فَابْكُوا قَتِيلًا بِمَضِهِ قَاتِلُهُ

وقال الأَرَجَانِي :

تَمَتَّعْتُمَا يَا مُقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ وَأُورِدْتَمَا قَلْبِي أَمْرَ الْوَارِدِ
أَعْيَنِي كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ سَعَى اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

وقال آخر :

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
فَأَلَزَمَ الْقَلْبُ طَرْفِي وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقَالَ طَرْفِي لِقَلْبِي بَلْ كُنْتَ أَنْتَ السَّوْءُ وَلَا
فَقُلْتُ : كُفَّا جَمِيعًا تَرَكْتَانِي قَتِيلًا !

لذّة الحبّ كلّها

قال الشيخ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيمّ الجوزيّة :

« ليس للقلب والروح اللذّة ولا أطيبُ ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدّل بأمثال الجبال من لذّات الدنيا . »

وقال بعض المارفين : « مَنْ قرّرت عينه بالله قرّرت به كلّ عَيْن . ومن لم تقرّ عينه بالله تقطعت نفسه على الدّنيا حسرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب ألّمّ الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضع - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم . »

وكان بعض المارفين يقول : مساكين أهل الدّنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأنس به والشّوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليرث بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنّى معها أنّه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكى المحبّون الصّبايةَ كَيْتَنِي تحمّلت ما يلقون من بينهم وَحْدِي
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كلّها فلم يلقها قبلي حبٌّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادَها ، فقالت :
 إِنَّ أَبَاكَ مَسَّنِي فَشَغَفَ بِهَا ، وَقَالَ فِيهَا :
 أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّكَ تَمْلِكُنِي وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
 وَأَنَّكَ تَوَجَّهْتِ عَلَى تَلَافِي لَقَلْتُ مِنَ الرِّضَا : أَحْسَنْتَ زَيْدِي

لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءٌ

وذكر العتيبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
 فنزلا تحت سَرْحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقةً فكتب عليها :
 خَبِّرِينَا - خَصَصْتَ بِالْغَيْثِ يَا سَرَّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقُ فِيهِ شِفَاءٌ
 وكتب الآخر :
 هَلْ يَمُوتُ الْمَحَبُّ مِنْ أَلَمِ الْحُبِّ بَّ وَيَشْفَى مِنَ الْحَبِيبِ اللَّقَاءُ
 ثُمَّ مَضِيَا ، فَلَمَّا رَجَعَا وَجَدَا مَكْتُوباً تَحْتَ ذَلِكَ :
 إِنَّ جَهْلًا سَأَلَكَ السَّرْحَ عَمَا لَيْسَ يَوْمًا عَلَيْكَ فِيهِ خِفَاءُ
 لَيْسَ لِلْعَاشِقِ الْمَحَبُّ مِنَ الْحُبِّ بَّ سِوَى لَذَّةِ اللَّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف

وقال أبو النجّاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّذ ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ
فلا ينقضى ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى العمرُ
فقلت : يا فتى ، ما هذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ،
ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ
عن معرفة ما بي . فتمنّيتُ النّى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين
من السّلك . وإني أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمرى ، ويجعله نجيمى في قبرى ، دريتُ به
أو لم أدّر . هذا دعائى ، أو أنصرف من حجّتى . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال :
خوف ألا يستجابَ دعائى ، وله قصدت ، وفيه رغبة !

حبة الأعداء

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .
وقال دِعبِل الخزاعى :

أشبهتُ أعدائى فصرْتُ أحبّهم إذ كان حظّى منك حظّى منهم
أجدُ الملامةَ في هوائك لذيدةً حبّاً لذكركِ فليلمننى اللّومُ
وقال آخر :

مَنْ كان يشكر للصدّيق فإنّى أحبُّو بصالِحِ شُكْرِى الأعداء
هم صيِّروا طلبَ المالى ديدنى حتى وطئتُ بِنَمْلَى الجوزاء
ولربّما انتفع الفتى بعدوّهِ والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاء

— ١٥٥ —

وقال آخر :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىَّ وَمِنَّةٌ
هُمْ يَحْتَوُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا
فَلَا قَطْعَ الرَّحْمَنِ عَنِي الْأَعَادِيَا
وَهُمْ نَافِسُونِي فَاکْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال أحد الشعراء :

سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمَ
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَّنِي
تُ أَنَّ لِقَابَكَ فِيهِ سُرُورَا
وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة وخطوة من رصيد الخزنة التيمورية
بدار الكتب المصرية وهي :

١٨	التبريزى على الحماسة	١	العقد الفريد
١٩	سحر العيون	٢	خلاصة الأثر
٢٠	فوات الوفيات	٣	آمالى أبى القاسم الزجاجى
٢١	اليتيمة للشعالى	٤	الإسماعيل شرح شواهد الكشف
٢٢	بغية الوعاة	٥	المضاف والمنسوب
٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب	٦	الحيوان للإيجاز
	اتفاق المباني وافتراق المعاني	٧	نمى الطيب
٢٤	إرشاد الأديب	٨	وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٥	الأغاني	٩	خزانة الأدب للبندادى
٢٦	العزير المحلى	١٠	لوعة الشاكى ودعوة الباكي للصغدى
٢٧	علم الدين لعلى باشا مبارك	١١	طوق الحمامة فى الألفه والألاف
٢٨	الروض الأنف	١٢	سبعة المرجان
٢٩	الكامل لابن الأثير	١٣	شرح شواهد التحفة الوردية
٣٠	بدائع الفوائد	١٤	عيون التواريخ
٣١	روضة الأعيان للتراجم	١٥	خاص الخالص للشعالى
٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور
		١٧	آمالى أبى على القالى

فهرس

كتاب الحب عند العرب

صفحة		صفحة	
٢٨	أنواع الحب	٣	تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	ضروب المحبة	٤	دعاء مأثور
٢٨	حب الولد	٥	كلمة اللجئة
٣٠	حب الأياىمى واليتامى	١٣	صفات الحب وأغراضه
٣١	أمثال فى الحب	١٣	الحب ما هو
٣٢	حجة بالنة	١٤	الحب والمحبوب
٣٣	حب الأزواج	١٦	عشق الشرف وعشق الجمال
٣٣	زواج النبى من خديجة	١٧	أحلام المحبين
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧	الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٨	الحب مع اختلاف الدين
٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين	١٩	الحب فى كل حال
٣٨	عاتكة بنت زيد	٢٠	حب النساء والمال
٤١	زواج امرىء القيس	٢٣	الحب خضوع النفس
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٤	أشقى الناس أهواها
٤٤	زواج حاتم الطائى	٢٥	رابعة العدوية
٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة	٢٥	الحب أحسن المعاصى
٤٧	الثريا وعمر بن أبى ربيعة	٢٦	الهوى قدر
٤٩	أبو الأسود الدؤلى وأمرأته وابنهما		
٤٩	المجرد والمرأة التى تبغها		

صفحة	
٥١	الشعراء العشاق
٥١	جبل بديعة
٥٣	كثير عزة
٥٤	عمر بن أبي ربيعة
٥٥	من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٥٦	حب امرئ القيس
٥٧	ذو الرمة وميمية
٥٧	توبة وليلى الأخيلية
٥٩	عبد الله بن طاهر وجاريته
٦٠	بحر هوى ليس له شط
٦٠	حب زينب بنت إسحاق النصراني
٦١	التائب من الحب
٦٢	الحب والجمال
٦٢	حب امتداح النساء
٦٣	أعرابي يصف امرأة
٦٤	الوصف من المشاهدة
٦٦	أسنان النساء
٦٦	دائرة لمحب فيها البدر
٦٧	المرأة والطبيب
٦٧	تف الوجه بالخيط
٦٨	تشبيه المرأة ببدر السماء
٦٨	لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
٧٠	تسكنى المرأة بالشاة أو البيضة
٧١	في أسماء النساء
٧٦	الغزل ووصف النساء
٧٦	الغزل والتغزل والفرق بينهما
٧٦	ياليل الصب متى غده
٧٨	استحسان وضاعة الوجه
٧٩	كواكب لا كواعب
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة
٨١	أصل بليتي من قد غزائي
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة
٨٣	صبح المشيب يدل على ليل الشباب
٨٣	الشاعر الغزال
٨٤	غزال قد غزا قلبي
٨٥	غرام أم جنون
٨٦	سلموس وسلمسة
٨٧	طائفة بنت معاوية
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح
٨٩	وصف : ية المندري إلى أنوشروان
٨٩	نارسر عربي جميل
٩١	غنيه : شحاذه
٩٢	العيون
٩٢	لأعذب العين
٩٣	معاني لفظ العين
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها
١٠٠	آفة النظر وغائلته

الصفحة	الصفحة
عداوة النساء ١٤٠	تعدد الزوجات والأزواج ١٠٢
طاعتمن تردى العقسلاء وتذل الأعزاء ١٤٠	هند وأبو سفيان ١٠٢
بنات الأربعين من الرزايا ١٤٣	حكمة التعدد في الإسلام ١٠٢
طرائف عن الحب ١٤٤	المرأة التي تزوج عليها زوجها ١٠٥
حيلة عاشق ١٤٤	عدم زواج الرجل بمن يهواها ١٠٦
بين الحب والمال ١٤٥	رؤية الرجل المرأة عند تزوجها ١٠٦
قليل منك يكفيني ١٤٦	رايات من نحر النساء ١٠٨
من الحب إلى الزهد ١٤٧	كشف وجه المرأة في الإحرام ١٠٩
معي بين أضلعي ١٤٩	المرأة لعبة زوجها ١١٠
يرى الفؤاد الروحين يتمزجان ١٤٩	مات زوجها فتزوجت ١١٠
لئن ساءني لقد سرني ١٥٠	وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها ١١٢
المشوق عفة ونزاهة ١٥٠	المتوفى
الطرف رسول رائد للقلب ١٥٠	القبلة وإباحتها ١١٣
لذة الحب كلها ١٥٢	محاسن المخلوق والمخلوق ١١٥
أحسن زبدي ١٥٣	ما قيل في الأسماء ١٢٢
لذة اللقاء شفاء ١٥٣	ما قيل في المهن والحرف ١٣٢
دعاء في الطواف ١٥٤	
محبة الأعداء ١٥٤	



Library of the Ministry of Education (CICAD)
National Library of Tunisia

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف للطباعة والنشر
بسوسة - الجمهورية التونسية
في شهر جوان 1993

من مشرور الأدب

- الحب عند العرب العلامة أحمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في أخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصبابة لشهاب الدين بن أبي حجلة

تمت الطبعة

رجوع الشيخ إلى صباه
للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف
التيفاشي القفصي
طبعة بتحقيق
حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب .

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 ISBN

الثلث : 3.000 د.ت. أو ما يعادلها بالعملة الأخرى .

الطبعة الأولى : جوان 1993 .

من منشورات الدار

- الحب عند العرب العلامة أحمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في أخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصبابة لشهاب الدين بن أبي حجلة

ت الطبع

رجوع الشيخ إلى صباه
للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف
التيفاشي القفصي
طبعة بتحقيق
حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب .

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 ISBN

الثمن : 3.000 د.ت. أو ما يعادلها بالعملات الأخرى .

الطبعة الأولى : جوان 1993